ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٥٠

Yanabee'a ينابيع

مَجلّة ثقافيّة تُعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام / السّنة ١٠ / العدد ٥٠ جمادى١ ـ جمادى٢ ١٤٣٤هـ/ آذار ـ نيسان ٢٠١٣م

Yanabee'a ينابيع ٥٠

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر

كرافيك
انس إحسان العرياوي

التنضيد الإلكتروني
باقر محمد الطريفي
محسن جاسم العبدلي
ميثم عبد علي الزاملي

استطلاع مصور:
القاسم بن العباس بن الكاظم عليه السلام

العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد
العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org
البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com
ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ٢٠٠٥/١١/١٦ م

- المقالات تعبر عن رأي أصحابها
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

لنا كلمة

بمناسبة صدور العدد الخمسين

من مجلة (ينابيع)

إذا كانــت مجلة (ينابيع) قد قدمت لقرائها الأعزاء وعلى مدى ســنيها العشر الماضية وأعدادها الخمســين، كل ما هو نافع وجديد في الحقل الثقافي الإسلامي عمومًــا وثقافة أهل البيــت عليهم السلام بالخصوص، فإنما نَبَعَ ذلــك من الحرص على إصدارها بالمستوى اللائق بها كرافد للساحة الثقافية.

وقد احتلت (ينابيع) مكانة متقدمة بين أوساط المهتمين بالثقافة، بشهادة كبار الأســاتذة والمثقفين الذين وصلتنا تقاريظهم، والتي نعتز بها، ونعتبرها مسؤولية إضافية تضاف إلى مسؤولياتنا.

فبالإضافة إلى ما امتازت به من مميزات علمية وفكرية ولغوية رصينة جعلتها مصدرًا للمعلومة الصحيحــة الموثقة لكثير من الباحثــين والقراء ، وإخراجها الفني المتميز الــذي نال إعجاب الكثيرين، إلا أن أبرز ســماتها التي بوَّأتها هذه المكانة المرموقة المحترمة ، هــو حرصها على عدم نشر أي مقالة أو بحث قد نُشر سابقًا، أو (سُرِقَ) من أي وسيلة إعلامية أخرى.

فكانت موضوعاتها على الدوام بكرًا لم تنشر مــن قبل، ومبتكرة لم يتقمصها لصــوص الكلمة الدخلاء على فــن الكتابة وآدابها، وهذا بفضل جدية الســادة الكتاب الذين نتعامل معهم، ونزاهتهم الشخصية والمهنية.

فلنا الفخر أن نتعامل مع نخبة محترمة من أصحاب الأقلام الرشيقة الرصينة، الحريصين على إشــاعة الكلمة الصادقــة والمعلومة الدقيقــة الموثقة، والإبداع الفكري والثقافي المتميز.

ولهم منا كل الشكر والتقدير والاحترام والتبجيل.

وفقنا الله لتكون (ينابيع) دومًا عند حسن ظن الناهلين من عطائها النقي.

رئيس التحرير

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

التعليم.. بين واقع الماضي وطموح الحاضر

المشرف العـــام ٦

قرآنيات

رأي المفسرين في نص خلافة آدم عليه السلام

أ. م. د. ابتسام عبد الكريم المدني ٨

مقاربة دلالية بين آيتي قبول التوبة وعدمها

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي ١٤

آمن الرسول

بدعة الجبر.. أسبابها.. أخطارها

د. محمد كاظم الفتلاوي ٢٤

علم الغيب والتكليف الشرعي

ســـعد حاتم مرزه ٣٠

تخريج حديث (علي سيد العرب)

علي عبد الزهـــرة الفحام ٣٦

استطلاع مصور

دفين شوشى.. القاسم بن العباس بن الإمام الكاظم عليه السلام

حيـــدر الجـــد ٤٨

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٥٦

إضاءات السيرة

فاطمة الزهراء عليها السلام في صحيح البخاري

السيد أحمد نوري الحكيم ٦٠

قصيدة: في رثاء الزهراء عليها السلام

السيد صدر الدين الصدر ٦٦

تسبيح الزهراء عليها السلام.. دراسة وتحليل

محمـــد دعيبـــل ٦٨

واحة الأدب

رثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر علي الجشي

أ. م. د. حســـين لفتة حافظ ٧٢

ص٦٦

ص٩٤

ص٢٤

ص٨

قصيدة: هذه زينب عليها السلام

السيد محمد رضا القزويني ٧٦

وقفة مع الشاعر محمود جبر شاعر أهل البيت عليهم السلام

د. حسـن الخاقاني ٧٨

قصة: مدينة تأكل لحوم البشر

م. فـارس عطية محمـد ٨٢

للفضيلة نجومها

الشيخ علي حيدر.. فكر معطاء

مسلم عقيل الشـاوي ٩٠

العلامة الشيخ عبد الحسين صادق المخزومي

د. مجيد حميد الحـدراوي ٩٤

في النفس والمجتمع

دور القدوة الحسنة في الخلاص من التبعية العمياء

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي ... ٩٨

طروحات عامة

الإنسان وظاهرة التضاد

طالب علي الشرقـي ١٠٦

موقف الفقه الإمامي مِن (ما لا نصّ فيه)

أسعد عبد الرزاق فرج الله ١١٢

واقعة الطف.. معيار العقائدية الأدق

د. فاضل منجي شكر ١١٨

قراءات

وقفة تأمل مع كتاب (الأحنف بن قيس)

حيدر المالكي ١٢٢

حكاية مستبصر.. صائب عبد الحميد ٤٦

في الذاكـرة ٨٤

وقفة مع الذكـرى ٨٦

أجوبة مسابقة العدد (٤٨) وأسـماء الفائزين ١٢٨

مسـابقة العدد (٥٠) ١٢٩

ص٥٦

ص١٠٦

ص٩٨

ص٧٨

كلمة العدد

التعليم..
بين واقع الماضي وطموح الحاضر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مما يحتاجه الإنسان في وضعه الاجتماعي هو الاتصال بالآخر ومعرفة وجهة نظره وتلقي المعلومة منه لتسهم في بلورة كيانه الاجتماعي وفي تحقيق مآربه وطموحاته، والارتقاء به إلى سلّم الكمال والنهوض به في الواقع الثقافي والمعرفي.

وقد شهدت المنظومة البشرية تطوراً كبيراً في مجال الاتصالات وكيفية تبادل المعلومة ووجهات النظر عبر القرون الماضية. وبحسب الخبراء والحسابات العلمية أنه لم تشهد تطوراً ملحوظاً في فتراتها السابقة وفي مختلف الأمم الماضية والحضارات السالفة كما شهدتها اليوم، وعبر الوسائل المتعددة، ولا أظن نحتاج إلى البرهنة على ذلك. كما أن الحاجة الملحة لضرورة الاتصال الاجتماعي والذي هو الأساس في بناء المجتمع والأمة، بل هو أساس بناء المنظومة البشرية هو الآخر لا يحتاج إلى برهنة واستدلال، فإن قيام الكيان الاجتماعي بالأفراد لابد من أن ينبني على تعزيز جهات الاتصال في ما بينهم ليكمل البناء ويتكون المجتمع ذو الأفراد.

وقد لوحظت التطورات الجديدة في مجال الاتصال في العصور المتأخرة على أنها تطورات تصب في بناء المجتمعات بل بلورة الكيانات المتشتتة وجمعها في إطار المجتمع الواحد ليصبح كياناً متماسكاً له حقوقه وعليه بعض الواجبات. ولا تعنينا نحن ـ في الميدان المعرفي والثقافي والاهتمام بنضوج المجتمع ـ الأسباب التي دعت إلى هذه القفزة من التطور الذي يتيح التواصل الاجتماعي بشكل سريع، ويحدد هوية المجتمع بما يمتلكه من سرعة نقل المعلومة وإحضارها بشكل عجيب، كالبرق الخاطف، إلا من أجل الاستفادة منه وتوجيهه بشكل يلائم المبادئ ـ بل يدعمها بنحو من الأنحاء ـ واستغلال هذه التقنية في تطوير المنظومة الاجتماعية لتواكب الحملة العلمية العالمية، وتستفيد من تجارب الآخرين لتصبح أمة تمتلك من الثراء العلمي والمعرفي ما يضاهي الأمم الباقية علّما يأتي يوم لا نسمع فيه المقولة المشينة التي طالما قرعت آذاننا على طول فترات النضال العلمي والديني، من الرمي بالتخلف والرجعية، وكأن الآخرين قد حظوا بالتقدم والازدهار بعد مفارقتهم للخط العلمي والديني.

إن من أهم سبل الاستفادة من هذه التقنية الاتصالاتية هي إغناء الحقول التعليمية في مجتمعاتنا من مفردات المنظومة الجديدة وقد رأينا ـ وبمختلف مستوياتنا العلمية والمعرفية ـ الأثر

الكبير في سرعة الحصول على المعلومة من الطرف الآخر، ومعرفة وجهة نظره على الوقت وحساب الزمن الذي له الدور الكبير في كثرة الإنجازات العلمية وتطوير المجتمع، باتجاه التقدم المعرفي والتقني الذي يعود إيجاباً على وضعه الديني وارتباطاته التي تصب في مجال ترويج الشعائر والعمل على خدمة المبدأ الحق ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام. فبين أن تصل معلومة واحدة خلال يوم مثلاً، تصل عشرات المعلومات بل ربما المئات خلال فترة وجيزة من الزمن.

لذا لابد من عكس هذه التقنية على مؤسسات التعليم التي هي الأخرى العمود الفقري للمجتمع والذي به ينهض ويجابه الجهل والتخلف الكفيل بتسرب الأفكار السيئة في داخله، والبدء بنخره وتفكيكه بعد ذلك وتشتيته. مع أن من الملاحظ اليوم البُعد عن التقنية المشار إليها والتي نعيشها، بل ينبغي تطوير الأساليب الفنية في إيصال المعلومة ـ ضمن هذه المؤسسات ـ بما يتناسب وعقلية المتعلم وما يمتلكه من الثقافة العصرية التي يعيشها في زمانه، من دون أن يُرجع به إلى الوراء باستعمال أساليب لا يألفها في وضعه الحياتي، فإن تأثير التعليم بأسلوبه الصحيح كفيل بإحكام العلاقة الاجتماعية وإيجاد كتلة بشرية واعية، ساعية لتحقيق آمالها التي تصب في الواقع العقيدي والديني بمختلف مجالاته.

أما تحديد الأسلوب الصحيح من الأساليب الفاسدة الذي يشكل منظومة تعليمية ناجحة فيكمن في أدنى نظرة موضوعية للواقع الذي نعيشه وتعدد الوسائل التي نمتلكها اليوم، فإن الجهاز الذي يحمل آلاف الكتب والنظريات العلمية الدينية وغيرها كفيل بأن يضع حلاً مناسباً لتغيير الأساليب الفنية ويعوض الكثير من الطرائق التي قد تبعد المسافة بين المعلِّم والمتعلِّم.

ولا نعني الاكتفاء بهذه النظرة في تجديد الوسائل التعليمية من دون حساب المستجدات الفعلية التي قد تعيق الحركة أو تصطدم ببعض الثوابت الدينية، بل لابد من العمل الجاد والحثيث، وتسريع الخطى، وعقد الاجتماعات المتكررة، والاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص في تبديل الطرائق التعليمية، وإيجاد بدائل تنافسية داخل أروقة المؤسسات التعليمية مع تدريب الكوادر العلمية ونسيان الطرق القديمة التي لا تناسب الأجواء اليوم.

وقد عزمنا على الدراسة الجديدة في إنشاء مؤسسة تعليمية واعدة تناسب الوضع التقني المعاصر، وتنسجم مع المبادئ والقيم الأخلاقية الدينية وتستفيد من التقنية الحديثة بأروع أنواع الاستفادة من أجل المساهمة في إنشاء جيل متعلم خصوصاً بعد فشل كثير من المؤسسات التي دخلت هذا المضمار وقطعت على نفسها بعض الوعود ولم تف بها. وعدم امتلاك الأخرى للمفردات الكفيلة بتحقيق هذه الغاية المنشودة. وبقيت الأجيال بعيدة عن ممارسة التقنية الحديثة والاستفادة منها في ميادين العلم والمعرفة. ومن هنا نلفت انتباه الإخوة القراء إلى أن من يجد من نفسه الاستعداد في التعاون والتشاور ووضع دراسات في مجال التعليم وأساليبه الفنية، فإنا على استعداد تام للجلوس والحوار والاستفادة منه والله هو الموفق والمعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

المشرف العام

رأي المفسرين في نص خلافة آدم عليه السلام

أ. م. د. ابتسام عبد الكريم المدني •
عميد كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

قال تعالى في كتابه العزيز: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ). (البقرة:٣٠-٣٢)

ينابيع يثير النّصّ القرآني هذا استفهامات عدّة، تتشعب على محاور:

١ـ من قائل القول هذا؟ الملائكة أم غيرهم! ولو كان الملائكة فما نوع الاستفهام المعروض، وهل يتناسب هذا مع صفات الملائكة.

٢ـ وَصْفُ الخليفة بالفساد وسفك الدماء، أهو علم بحقيقة، أم تهمة؟

٣ـ أفي القول: (**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) تخطئة للحكم الإلهي في بيان أحقيتهم في الخلافة؟

٤ـ أقائل: (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) هو قائل (**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) ؟

٥ـ أرى التوصل إلى معرفة هويّة القائل (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) تيسّر فهم النّصّ وتجيب عن الاستفهامات تلك،

وتغني عن كثير من التأويلات التي قد يضطرّ إليها المفسر اضطراراً.

إن الفكرة الّتي يفترض صحتها البحث ويحاول إثباتها ترى القائل (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) إبليس دون الملائكة، وأن قائل: (**قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) هم الملائكة دون إبليس.

آراء المفسرين:

يستفهم أحد الباحثين عن الحوار في الآية-موضوع البحث-أهو قصّة حقيقيّة دار الحوار فيها بين اللّه سبحانه والملائكة، أم إنه أسلوب قرآنيّ لتقريب الفكرة؟ ويرى الباحث أن الأسلوب هذا ليس بدعاً في الأساليب القرآنيّة، إذ في القرآن الكريم كثيراً ما يدور حوار بين اللّه تعالى وما لا يعقل ولا ينطق من مخلوقاته.كما في

قوله تعالى عن السماوات والأرض، إذ قال لهما (ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت: من الآية١١) إذ قرّب فكرة خضوع السّماوات والأرض في تكوينهما لله سبحانه بما أودع فيهما من قوانين طبيعية تسيّرهما على وفق إرادته وحكمته.إلاّ أن الظّواهر الكلاميّة بين العقلاء حجة ما لم يكن هناك دليل عقلي يمنعها. لذا فالنّص يلزمنا الإقرار بحقيقة الحوار هذا، لأنه كان مع عقلاء[1] إذ لا يمكن حمله على الكناية أو المجاز، ولاسيّما أن سقوط إبليس وسلوكه في الهالكين كان نتيجة للحوار هذا. قال تعالى: (وإذ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة:٣٤) أي صار من الكافرين بفعلته هذه[2].

إذن - الحوار حقيقيّ.. ولكن كيف الخطاب للملائكة والإنكار على إبليس تخلفه عن السجود؟ فقد قال تعالى (**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً... وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ...**) ولاسيما أن هناك آية تصرح بأنّ إبليس ليس من جنس الملائكة. قال تعالى: (**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**) (الكهف: من الآية٥٠).

إنّ العرض القرآنيّ شحذ همّة التأويل لدى المفسرين فقيل: إنّ الجنّ ومنهم إبليس كانوا مأمورين أيضًا بالسجود مع الملائكة، وقيل إنّ إبليس كان مغموراً بالألوف من الملائكة، فغلّبوا عليه بالنداء، وهذه سنّة عربية في اللّغة، أو إنه كان مأموراً صراحة إلاّ أنّ القرآن لم يصرّح بذلك[3] وقيل إنّما دخل في الأمر لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم[4]. وأيّما نكت تحمل تلك الآراء فإنّ المغني عنها النّصّ القرآني وهو يُفهم أنّ إبليس كان من المخاطبين. ولكن ما الغرض الربّانيّ من عرضه جلّ جلاله قضيّة جعل الخليفة في الأرض؟ لقد استفهم أحد الباحثين:أكان الله سبحانه في مقام استشارة الملائكة، أم كان في مقام إخبارهم بذلك؟ ولابدّ من رفض فكرة الاستشارة لأنّ الاستشارة تطلق في محاولة الوصول إلى الرأي الأكثر صواباً[5] وحتى قول من يرى أنها مشاورة الغرض منها تعليم عباده إياها في أمورهم قبل أنْ يقدموا عليها[6]. فمردود، لأنّ القرآن الكريم لم يخبرنا أنّ الله سبحانه يشاور أحداً لأيّ غرض من الأغراض، إنّما علم النّاس المشورة عندما قال لرسوله الكريم محمّدﷺ: (**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**) (آل عمران: من الآية١٥٩) وقال تعالى أيضاً (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (الشورى: من الآية٣٨) وقيل إنّ الله سبحانه عرض الأمر لإخبارهم بأنّه جاعل في الأرض خليفة[7]. ولكن سياق القصّة يدل على أنّ الإخبار كان مقدمة للأمر بالسجود، إذ بعد بيان مكانة المخلوق هذا، وتكريمه بالخلافة يأمر الملائكة بالسجود، إلاّ أنّ الاستفهام الّذي اعترض النّصّ باعد بين الإخبار بالخلافة والأمر بالسجود.

إذن: ما نوع الاستفهام المعروض؟

قيل إنّه استفهام محض، أو على طرق التعجب[٨] أو إن الملائكة قالوا ذلك لاستعلام وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض أو الإنكار، أو إنّهم سألوا عن حال أنفسهم، فتقديره: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبّح بحمدك أم لا؟[٩] وقيل إنّ الاستفهام كان اعتراضاً من الملائكة[١٠]. ولمّا رأى بعض المفسرين أنّ هذا لا يتناسب مع صفات الملائكة راح يتأوّل. فقيل: إنّ الملائكة على نوعين:منهم العقول والأرواح المجردات عن الماديّات، ومنهم من له تعلق بالماديّات، وهم الملائكة الموكلة على الأرضيات، وهم المأمورون بالسجود لآدم، ولذا جاء منهم الاعتراض الظّاهر في الآية لمجانستهم للجنّ ومنهم إبليس[١١].

إنّ الّذي أجهد المفسرين في التأويلات تسليمهم بأنّ القائل: (**أَتَجْعَلُ فِيهَا**...): الملائكة، ولمّا كانت صفات الملائكة الظّاهرة في القرآن الكريم لا تتناسب مع الاستفهام هذا، راحوا يوجّهون القول بأوجه لا يخفى التكلف فيها.لأنّ سياق الكلام يتضح فيه الاستفهام الإنكاري، وإنْ وجّه نحو التّعجب، فالتّعجب من شيء ينكرونه: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ).

إذن: من القائل: (**أَتَجْعَلُ فِيهَا**...)؟

إن مصادر ومراجع البحث هذا كلّها تقول إنّ القائل: (الملائكة) إلاّ الشيخ الآلوسي، فإنّه يعرض رأياً ولم يَتبنّهُ بل يقول (وقيل إنّ القائل إبليس، و قد كان إذ ذاك معدوداً في عداد الملائكة ويكون نسبة القول إليهم على حدّ بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم)[١٢].

إنّ الرأي هذا يجعل من ظاهر القول شيئاً مفهوماً، مغنياً عن التأويلات المتكلّفة. فإبليس يسبق ربّه بالقول، إذ لم ينف القرآن الكريم عنه تلك الصفة كما نفاها عن الملائكة إذ قال بأنهم: (**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**) (الأنبياء: ٢٧) لذا كان الاستفهام قبل وصول الحوار إلى غايته، وهو الأمر بالسجود لآدم. أما إبليس فقد (**كَانَ مِنَ الْجِنِّ**) (الكهف: من الآية٥٠) أي صاحب عقل وهوى، فهو يعترض ويدعي لنفسه كرامة الاستخلاف في الأرض. وإبليس لم يُعصم عصمة الملائكة، فيمكنه إطلاق تهم جزافاً، إذ اتهم آدم بأنّه: (**مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**) ولم تكن تلك حقيقة واقعة، إنّما حصلت في ما بعد لذريّة آدم، حتى قال تعالى في ذلك: (**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**) (سبأ: من الآية٢٠) وقيل المعنى إنّ إبليس قال له ظنّه الصدق[١٣] (فكأنّه ظنّ فيهم أمراً واعده نفسه فصدّقه)[١٤] إذ رأى فيهم مبدأ الشر والفساد[١٥].

وما كان ذلك إلاّ ظنّاً ظنّه إبليس فبدّل النّاس ظنّه صدقاً[١٦]. فإذا فهمنا أنّ إبليس القائل (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**) وعرفنا بأنّ القول تهمة محضة نلمس عناء المفسرين في تأويل القول هذا. فقد قيل :المقصود ليس آدم بل ولده[١٧] وإنّ الملائكة فهمت أنّ في بني آدم من يفسد فعمّموا الحكم على الجميع[١٨] وقد علموا ذلك من إفساد الجنّ وسفكهم الدماء، وذلك أنّ الأرض كان

فيها الجنّ ففسدوا وسفكوا الدماء فقاسوا الثاني على الأوّل[١٩] وقيل لابدّ أنّ اللّه سبحانه قد ألهمهم بأنّ من ذريّة الخليفة من يفسد ويسفك الدماء[٢٠]. وقيل إنّما الملائكة (فهموا وقوع الفساد وسفك الدماء من قوله تعالى: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)** حيث الموجود الأرضي بما أنّه ماديّ فانتظاماتها وإصلاحاتها في مظنّة الفساد ومصبّ البطلان، ولاتتم الحياة فيها إلاّ بالحياة النوعيّة، ولا يمكن البقاء فيها إلا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء)[٢١].

يتضح للمتأمّل التّكلف والعسر في التأويلات هذه. إذ افترض المفسرون على النّصّ افتراضات عدّة لا نجد لها صدًى في النّصّ القرآنيّ كلّه. وعالج المفسرون، وبالتكلّف نفسه، القول: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** إذ فيها يفضّل المتكلّم نفسه في الخلافة على آدم تفضيلاً واضحاً، ويوحي بتخطئة الحكم الإلهي. فقيل إنّ الملائكة قالوا مقولتهم غَيْرَة على اللّه سبحانه، إذ قالوا نحن الّذين ننزّهك عمّا لا يليق بك من الصفات ولا نعصيك[٢٢] أما أولئك فيتحاسدون ويتباغضون، ويعصون فاجعل الخليفة منّا[٢٣].

توحي النصوص تلك بأنّ التأويلات تحمل افتراضات على النّصّ من جهة، وفيها صفات غير مجانسة لصفات الملائكة من جهة أخرى.

إذن: من القائل: **(أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)**؟

من خلال ما تقدم وللمسوغات الّتي عرضناها نستطيع الوصول إلى نتيجة مفادها أن هذا القول عائد إلى إبليس وليس إلى الملائكة... والحمد للّه رب العالمين ■

---

(١) من وحي القرآن:١/١٤٧.
(٣) ينظر:روح المعاني:١/٢٣١.
(٤) ينظر:م ن:١/٢٢٩-٢٣٧.
(٥) ينظر: الصافي في تفسير كلام اللّه:١/٩٢.
(٦) ينظر: من وحي القرآن:١/١٤٧.
(٧) ينظر: الكشاف:١/٩٣.
(٨) ينظر:تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام:١/٢١٦.
(٩) ينظر:الجامع لأحكام القرآن:١/٢٧٤.
(١٠) ينظر:زاد المسير:١/٦٠، والتبيان في تفسيرالقرآن:١/١٢٨،ونهج البيان١/١١٤.
(١١) ينظر:بيان السعادة:١/٧٢.
(١٢) ينظر:م.ن:١/٧٢.
(١٣) روح المعاني:١/٢٢١.
(١٤) ينظر:تفسير البيضاوي:٤/٣٩٨.
(١٥) التبيان في اعراب القرآن:٢/١٩٧.
(١٦) ينظر: ارشاد العقل السليم:٣/١٢٩.
(١٧) ينظر:تفسير القرآن العظيم:٣/١٢٦.
(١٨) ينظر:جامع البيان:١/٢٠١.
(١٩) الجامع لأحكام القرآن:١/٢٧٤.
(٢٠) ينظر: م.ن: ١/٢٧٤، وتفسير القرآن العظيم: ١/٤٢.
(٢١) ينظر:الجواهر الحسان:١/١١٥.
(٢٢) الميزان:١/١١٥.
(٢٣) ينظر: تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام: ١/٢١٦.
(٢٤) ينظر: تفسير القمي: ١/٣٦ و: تفسير القرآن الكريم: شبر:١/٦.

صعصعة والمغيرة

روى سبط ابن الجوزي مسندًا عن عمرو بن يحيى، قال:

مرّ صعصعة على المغيرة، فقال له: من أين أقبلت؟

فقال: من عند الولي التقي الجواد الحي، الحليم الوفي، الكريم الحفي، المانع بسيفه، الجواد بكفه، الورى زنده الكثير رفده، الذي هو من ضئضئ أشرف أمجد أمجاد ليوث أنجاد، ليس بأقعاد ولا أنكاد، ليس في أمره بوغد ولا في قوله فند، ليس بالطائش النزق ولا بالرائث المذق، كريم الآباء شريف الأبناء، حسن البلاء ثاقب السناء، مجرب مشهور وشجاع مذكور، زاهد في الدنيا راغب في الأخرى.

فقال المغيرة: هذه صفات أمير المؤمنين علي عليه السلام.

مواقف الشيعة ٢: ٣١٦

مقاربة دلالية في آيتي قبول التوبة وعدمها في سورة النساء

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

لما كان الإنسان مجبولاً على الدخول إلى عالم الخطأ، ومُقيَّضاً له الولوج إلى نطاق الخطيئة بلحاظ نزعاته النفسية ودوافعه الذاتية؛ باعتبار قوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس: ٧-١٠). فإنَّه كان من الواجب بمكان أنْ يفتح الله سبحانه له منفذاً ليزيح ما علق بنفسه من ذنوب تلك الخطيئة وشوائب ذلك الخطأ، وإلا من المحال ـ والحال هذه ـ أن ينجو المرء ما لم يكن هناك بديل تعويضي يمكن أن يمر من خلاله لينقي نفسه من درأ الزلل واتباع الهوى وتلبية دعوة الشيطان.

ينابيع

من هنا فتح سبحانه باب التوبة لعباده وحثهم إليها بتحفيز ودعم عاليين، بيد أنه سبحانه بالمقابل قد وضع جملة من الأسس التي يجب أن يتمثّلها المرء ويسير على نهجها كي تقبل توبة العبد، وتأسيساً على هذا سنقف على آيتين من سورة النساء قد ذكر فيهما سبحانه دواعي قبول التوبة وأعرب بالمقابل عن علل رفضها، وذلك تحديدًا في قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (سورة النساء: ١٧- ١٨).

ولما كان النص القرآني على درجة مطلقة من الإعجاز الصياغي فإنَّه يمكن القول باطمئنان أنَّ الله سبحانه قد صاغ

نص قبول التوبة والدعوة إليها بحيثية غاية في الروعة والإبداع، سواءٌ من حيث انتقاء الأداة الموافقة تماماً للمطلب الدلالي المبتغى أم من حيث توظيف الصيغة الصرفية لبيان المضمون الـمُنتَج بفعلها مواءمةً مع الدلالة العامة لسياق النص الكريم، أو من حيث نحت التركيب الجملي بحيثيات معبرة عن الداعي الدلالي الموصول إلى المتلقي بمنطق كيفية بنائها، وبناءً عليه سنقرأ هذين النصين الكريمين قراءة دلالية بمنطق تحليل الخطاب لاستظهار ما بهما من مكنونات مضمونية ـ في ما يخص قبول التوبة أو عدمها ـ قد صيغت بأروع أساليب الإعجاز النصي والبنائيات السماوية المبدعة.

فإذا ما نظرنا إلى قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّه لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّه عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّه عَلِيماً حَكِيماً* وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا

حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) فإننا نجد أنَّ (إنما) أداة حصر جاءت في النص الأول – نص قبول التوبة- لتحصر قبول التوبة على وفق ضوابط معينة لا تتجاوزها و (التوبة) تعني الرجوع عن الذنب والمعصية، أما قوله (عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ) فالناظر أول الأمر يحسب أن المعنى يقتضي عبارة (إنما التوبة على العبد) باعتبار أن العبد هو الذي يتوب وليس اللّه تعالى وللرد على هذا ذهب بعض المفسرين إلى ضرورة وجود محذوف في النص فتقدير الكلام هو (إنما قبول التوبة على اللّه)[1]، وذهب آخرون إلى أن معنى (التوبة على اللّه) هي رجوع اللّه على العبد بالمغفرة والرحمة أي إن التوبة واجبة على اللّه سبحانه في حال توجه العبد إليه بتوبة نصوح[2]، وهو الأرجح لدينا تأسيساً على أن عدم التقدير أولى من التقدير ثم إن حرفي المعنى (على) و (اللام) في (اللذين) يعضدان هذا الترجيح؛ إذ يشير أنه بوجوب قبول التوبة من اللّه للعبد، فإن (على) تدل على الوجوب و (اللام) تدل على الاستحقاق وذلك في مثل قولك: (لي على زيدٍ حقٌّ ولمحمدٍ عليَّ مبلغٌ من المال) فنجد أنَّ فيها معنى الاستحقاق من جهة ووجوب القبول من جهة أخرى، لأنه سبحانه أوجب على نفسه الرحمة للعباد.

أما لفظة (يعملون) فهي أينما وردت في السياقات القرآنية فهي دالة على أن أداء العمل مستمر دون إنجازه، أما لفظة (يفعلون) ومشتقاتها فهي تدل على أداء العمل بإنجاز كامل، وقد جاء النص بلفظة (يعملون) حتى يدل على أن جميع من قام بذنب ولم يتب عنه فهو مازال في نطاق الذنب والمعصية، وكأن المعصية التي نفَّذها لم تنته بعد ولا يكون الانتهاء منها إلا بالتوبة، ثم إن ثمة أمراً آخر يستدعي مجيء لفظة (يعملون) دون لفظة (يفعلون) وهو أن داعي المعصية يكون من عمل الشيطان ، وإذا كان الشيطان دائم العمل لإغواء الناس كان عمل المعصية من قبل الإنسان هو امتداد لعمل الشيطان غير المنتهي، فكان في لفظة (يعملون) إشارة إلى عمل الشيطان الدؤوب.

أما قوله (يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ) فالتساؤل يرد في أنه لِمَ أضاف لفظة (بجهالة)، ولو عمل الذنب بغير جهالة ثم تاب ألا تُقبَل توبته؟ لقد مال المفسرون إلى قوله (بجهالة) تعني جهالة بقبح المعصية، وسوء عاقبتها لا الجهل في أنها معصية أم لا، بل الجهل بما يترتب عليها من محذور[3]، ونؤيد هذا المعنى لدى علماء التفسير إذ نرى أن الباء في لفظة (بجهالة) هي التي حققت هذه الرؤيا لأنه لو قال: (يعملون السوء جاهلين) لكانت لفظة (جاهلين) هنا (حال) فتعطي معنى أنهم يعملون السوء وهم جاهلون في معرفة أن عملهم هذا معصية أم أنه لا يمثل المعصية فيكون الجهل هنا معرفة المعصية ذاتها، على حين أنه أورد الباء فقال (بجهالة) ليدل بالباء على السببية أي يعملون السوء بسبب جهلهم بعقابه[4]، وقد تفيد الباء معنى (في) الظرفية فيكون المعنى: يعملون السوء في الوقت الذي هم يجهلون عاقبته أو يعملون السوء وهم في جهل من عاقبته، لكن القول بمعنى السببية هو أرجح لدينا لأنه هو الداعي إلى ارتكاب الذنب، و (الجهالة) هنا تمثل القيد التوضيحي الأول للتوبة.

أما قوله (ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ) فقد أورد فعل التوبة ههنا على صيغة المضارع لينفتح فعل التوبة على كل زمان ومكان دون تحديده بوقت دون آخر، ثم إن هذه الصيغة للتوبة تتناسب مع صيغة فعل العمل السيئ (يعملون) ليفهم الناس أنهم متى عملوا سوءاً وأرادوا التوبة فإن باب التوبة مفتوح، أما قوله (من قريب) فرُبَّ سائلٍ تستوقفه هذه العبارة فيقول: هل الذي يعمل الذنب ثم يتوب بعد ذلك من بعيد، أي بعد وقت بعيد لا تُقبَلُ توبته؟ وللإجابة نقول: إن كلا المذنبين تقبل توبته، إذ ليس المراد بالقرب معنى مقابل البعد لأن التوبة إذا كانت قريبة من ارتكاب الذنب أم بعيدة فإن حكمهما واحد في القبول إذا كانت توبة نصوح حقيقية، وإنما المقصود بلفظة (من قريب) قبل ظهور علامات الموت ومعاينة سلطانه فهذا الوقت لا تقبل فيه التوبة ويعضد هذا المعنى الآية التالية، وما يسند هذا المعنى أيضاً هو حرف المعنى (ثم) الذي يفيد التراخي البعيد في الزمن، مما يفتح المجال أمام المذنب للتوبة بعد زمن قد لا يكون قريباً، ولو أراد سبحانه بلفظة (من قريب) أن التوبة يجب أن تكون قريبةً من وقت حدوث الذنب حتى تقبل لقال: (للذين يعملون السوء بجهالة فيتوبون من قريب)؛ لأن (الفاء) تدل على قرب وقت حدوث التوبة على المعصية، ليتناسب ذلك مع قوله (من قريب)، على حين أنه استعمل (ثم) ليكون المجال واسعاً للتوبة لكن مشروطًا بعدم ظهور علامات الموت على المذنب. من هنا نصل إلى أن قبول التوبة في هذه الآية الكريمة لها قيدان، الأول (بجهالة) والثاني قوله (ثم يتوبون من قريب) ولو قال: (إنما التوبة على الله للذين يتوبون من قريب لعملهم السوء بجهالة) لوجب أن تكون التوبة قريبة من وقت حدوث المعصية.

ونلحظ في بداية الآية أنه قدَّمَ سبحانه لفظة (على الله) وآخر لفظة (للذين) وكان يسعه أن يقول (إنما التوبة للذين يعلمون السوء على الله) غير أن هذه العبارة الأخيرة لا توحي بحصر التوبة لله وحده، على حين أن التقديم الذي هو في الآية أفاد تخصيص التوبة لله تعالى وحده دون غيره فهو الوحيد القادر على أن يرحم عباده المذنبين.

أما قوله (فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ) فنجد فيه أن التعبير قد تغير، فبدلاً من أن يقول (أولئِكَ على اللهِ تَوبتُهُم)، قال (أولئكَ يَتوبُ اللهُ عليهم) وذلك لأنه قد قدَّم في بداية الآية ليفيد معنى اختصاص الرحمة به من جهة وأحقية العباد عليه من جهة أخرى، كما أن فيها تشويقاً للعبد المذنب في التوبة لله، إذ إن التوبة حقٌّ له على الله كما هي مُصوَّرة بالتعبير، أما في الموضع الذي نحن فيه فنلحظه لم يقدِّم لانتفاء السبب فهو ليس بصدد التحفيز لأنَّ المذنبين قد تابوا، لذا جاء على الأصل الصحيح للجملة ونجده استعمل المضارع أيضاً (يتوبُ) ليتوافق مع ما قبله من الأفعال، ويؤكد استمرارية توبته على الناس جميعاً، وعبَّرَ عن التائبين بلفظة (أولئك) للدلالة على علو المكانة ورفعة الشأن، ثم قال (وكان الله عليماً حليماً) فنجده ختم الآية بهذه العبارة وكنا نخال أنه سيقول (وكان الله غفوراً رحيماً) توافقاً مع التوبة، بيد أنه استعمل (عليماً وحكيماً) لعلمه وحكمته بمن يعمل السوء بجهالة، لأن من يقترف ذنبًا بداعي الاستعلاء والاستكبار عليه سبحانه لن يغفرَ

له أبداً.

قال تعالى: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)، الواو في بداية الآية استئنافية لأنه استأنف الحديث عن فئة أخرى، أما لفظة (ليست) فقد أفادت النفي المطلق غير المُقيَّد بزمن وقد أجمع علماء النحو قدامى ومحدثين على أن (ليس) تدل على الإطلاق عند دلالتها على الحال وعدم ظهور القرينة كقولك (ليس زيدٌ قائماً)، فهذه العبارة خالية من وجود قرينة تصرفها إلى زمن غير زمن الحال فالمقصود (ليس زيدٌ قائماً الآن) أما إذا وجدت قرينة صارفة لها إلى زمن آخر غير الحال فلا تدل على الإطلاق كقولك: (ليس زيدٌ قائماً أمساً أو غداً) فهنا تدل على الزمن الماضي أو المستقبل بحسب القرينة، ولنا أن نخالف النحاة فنقول إنَّ الحال زمن مُقيِّد أيضاً، فكيف تدل على الإطلاق من الزمن عند دلالتها على الحال الذي هو زمن مُقيِّد، بل تدل على الإطلاق من الزمن بحسب السياق ففي الآية أعلاه تدل على النفي المطلق من الزمن، لأن الله تعالى لا يتوب على المذكورين في الآية أبداً ولو قلنا بقول النحاة لكان المعنى أن الله لا يتوبُ عليهم الآن لكنه قد يتوبُ عليهم في ما بعد وهذا ما لا يتحمله النص.

ونلحظ أنه سبحانه لم يُظهرْ اسمَهُ هنا على حين أظهره في الآية السابقة، وذلك لأنه قد أظهره في الموطن الذي يجمل فيه أن يظهر فذكره في سياق التوبة على العباد، أما هذه الآية فلم يذكر اسمه لأنه في صدد الحديث عن المستكبرين بالذنوب والكفار.

أما قوله (يعملون السيئات) فنجده جمع (السيئات) ليُنبئ أنَّه قد أحصاها عليهم وهي كثيرةٌ على حين قال في الآية السابقة (يعملون السوءَ) فوصف العمل بأنه سوء ويمكن تغيره إلى حسن بالتوبة، أما في الآية هذه فقد قال (يعملون السيئات) فنجده قد وصف نتيجة العمل الذي بقيت لأنهم لم يتوبوا، ولهذا لم يستعمل لفظة (السيئات) في الآية السالفة لأنها لم تبقَ، بل ذهبت بفعل التوبة.

أما حرف المعنى (حتى) في قوله (حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) فيفيد انتهاء الغاية، ونجده استعمل أداة الشرط (إذا) لأنها تدخل على الجمل اليقينية الحدوث، أما الفعل (حضر) فهو فعل الشرط، وإذا ما تتبعنا وروده في النص القرآني فإنا نألفه مساقاً مع لفظ الموت دائماً إلا في آية واحدة وهي (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى) (النساء: ٨.)، ومن اقتران الفعل (حضر) مع الموت دائماً نصل إلى أنه لا يستعمل في الخطاب القرآني إلا في دلالة المفاجأة ونلمس جمالية القدرة التعبيرية في انتقاء هذا الفعل دون غيره وإقرانه مع لفظة الموت، إذ إن الموت شيء مرهوب يخافه الناس وإن استعمال (حضر) يوحي بأن الموت تجده أمامك فجأة دون تَحسُّب، فلا تتمكن من الفرار منه، وفي هذا إضاءةٌ إلى ضرورة السعي لعمل الخير قبل أن تجد الموت شاخصاً أمامك وأنت غافلٌ غير متوقِّع له، وهذا أهيب وأكثر ترويعاً من استعمال الفعل (جاء) مثلاً، حيث لا ينطوي على دلالة الحضور المفاجئ الذي يناسب الموت.

ونجده قدم المفعول به (أحدهم) على

الفاعل (الموت) لأن سياق الحديث منصب بشكل كلي على المذنب، فهو المخصوص بالحديث وليس (الموت)، و (حضر) الذي هو فعل الشرط قد جاء بصيغة الفعل الدال على الزمن الماضي (فَعَلَ)، بيد أنه في النص خرج عن نطاق الدلالة على الماضي للدلالة على المستقبل، أما عبارة (قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) فهي جملة جواب الشرط ونجدها مؤكدة بـ (إنّ) المشددة مما يوحي بعظمة ما رآه المذنب في أثناء عملية الموت الأمر الذي دفعه إلى أن يؤكد توبته بعد أن كان سادراً عنها في حياته، أما الفعل (تبتُ) فهو فعل ماض يدل على زمن الحال بفعل القرينة اللفظية (الآن) فلا يمكن أن ينصرف زمن الفعل للماضي مع وجود لفظة (الآن).

ثم نجده يعطف على هؤلاء المذنبين بقوله (وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) فاستعمل أداة النفي (لا) بدلا من (ليس)؛ لأنه إذا استعمل (ليس) هنا خرجت (الواو) المُصدَّرة بها العبارة من الدلالة على العطف بالمشاركة إلى الدلالة على الاستئناف، فكان الحديث عن (هؤلاء الكفار) يختلف عن الحديث عن (الذين يعملون السيئات) فتحتاج الجملة هنا إلى خبر فنقول: (وليس للذين يموتون وهم كفار) فتكون العبارة مبهمة غير مكتملة، حيث لا نعرف حكم هؤلاء الكفار؛ لذا جاء بأداة النفي (لا) لتشرك الكفار في حكم (الذين يعملون السيئات) وتكون

(الواو) عاطفة، وكذا الحال في حذف (لا) فإن الواو ستعد استئنافيةً لا عاطفةً، وتبقى الجملة لها حاجة إلى تتمة، فقولك: (ليس زيدٌ بشجاع ولا خالدٌ)، فإن الواو فيه عاطفة، على حين أن قولك: (ليس زيدٌ بشجاع وليس خالدٌ بضعيف كما يدَّعون)، فإن الوَاو فيه استئنافية، من هنا نلحظ دقة النص القرآني في وضع الكلمة في المكان المناسب لها؛ بل في وضع الحرف في المكان المناسب له، فنشهد روعة اختيار اللفظ وجودة انتقاء الموقع المناسب له في النص بما يتواءم مع الدلالة المطلوبة.

أما قوله (وهم كفار) فهي جملة حالية انبنت على الإسناد الاسمي لتدل على الثبات، وجاءت لفظة (الكفّار) على زنة (فعّال) وهي صيغة مبالغة لتدل على كثرة الكفر وثباته في هؤلاء، فهم مدمنون عليه بدأب حتى الموت، ولو قال (ولا الذين يموتون وهم قد كفروا) بالجملة الفعلية لما دلّ على كثرة الكفر وديمومته مثل استعمال لفظة (كفّار)، ثم إن مجيء الحال بالجملة الاسمية (وهم كفار) أبلغ في المعنى وأثبت من ورودها بالجملة الفعلية التي تدل على التجدد والحدوث وعدم الثبات، فقولك: (زيد متعلم) أثبت من قولك: (زيد يتعلم) وقولك: (محمد يحفظ) أبلغ وأثبت من قولك: (محمد حافظ)، ولا بد من الإشارة إلى أن الفعل (يموتون) مُفرَّغ من الزمن، فهو يدل على مطلق الأزمنة دون تحديد، ولا يدل على زمن الحال كما يذهب النحاة، بل إن السياق هو الحكم في تحديد زمن الفعل وليس (الصيغة).

أما خاتمة الآية (أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) فإنا نلحظ فيها أن الله تعالى قد آثرَ استعمال لفظة (أولئك) للإشارة إلى من لا تُقبَلُ توبتهم، وهي اسم إشارة تدل على البعيد وناسب مجيؤها هنا لأن المُتحدَّث عنهم بعيدون عن رحمته تعالى، أما قوله (اعتدنا) فهو فعل مزيد على زنة (افتعل)، لأن أصله (عدّ) وإذا صيغ الفعل على زنة (افتعل) دل على الاجتهاد والطلب والمبالغة في العمل، وهذا أكثر تخويفاً لهؤلاء الكفار وأنسب لمقامهم وصفتهم، وقدَّمَ (لهم) على المفعول به (عذاباً) لدلالة التخصيص وَوَصَفَ العذابَ بالأليم ليتمَّ المعنى في صورة العقاب، ونلحظ أن جميع الأفعال الواردة في النص قد خرجت عن الزمن الأصلي الذي وضعه لها النحاة، وهذا يتلاءم مع مضمون المُتحدَّث عنهم، لأنهم خرجوا عن جادة الصواب إلى سبيل الغي والخطيئة.

بهذا ننتهي إلى أنَّ قبول التوبة مشروع إلى كل إنسان ما لم تَنْتَبه اثنتان: الأولى ظهور علائم الموت عليه وهو ما زال في نطاق الذنب، أو بقاؤه على الكفر وصولاً إلى حد الموت، ففي كلتا الحالين لا تقبل توبة الإنسان مطلقاً، ومن دونهما فإن باب التوبة مفتوحٌ لكل من يبتغي ذلك بنصح ونية خالصة إلى الله سبحانه، (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر:٥٣) ■

---

(١) ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: ١٦٠/١، والالوسي: روح المعاني:٢٣٨/٤.

(٢) ينظر: الطباطبائي: الميزان: ٢٣٧/٤.

(٣) ينظر: الالوسي: روح المعاني:٢٣٨/٤، والطوسي: التبيان: ١٤٦/٣، والشوكاني: فتح القدير:٦٦٠/١.

(٤) ينظر: الالوسي: روح المعاني:٢٣٨/٤.

من سيرة أئمتنا عليهم السلام

عن عبد الله بن المبارك قال:

حججت بعض السنين إلى مكة، فبينما أنا سائر في عرض الحاج، وإذا صبي سباعي أو ثماني، وهو يسير في ناحية من الحاج بلا زاد ولا راحلة، فتقدمت إليه وسلمت عليه، وقلت له: مع من قطعت البر؟

قال: «مع البار». فكبر في عيني فقلت: يا ولدي أين زادك وراحلتك؟

فقال: «زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي». فعظم في نفسي ـ إلى أن قال ـ إلى أن أتيت مكة فقضيت حجي، ورجعت فأتيت الأبطح فإذا بحلقة مستديرة، فاطلعت لأنظر من بها فإذا هو بصاحبي، فسألت عنه، فقيل: هذا زين العابدين عليه السلام.

مستدرك الوسائل / ج٨

مدن إسلامية.. القيروان

تقــع القيروان في تونس على بُعــد ١٥٦ كم من العاصمة تونــس. وكلمة القيروان كلمة فارسية دخلت إلى العربية، وتعني مكان السلاح ومحط الجيش أو استراحة القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب. قام بإنشاء القيروان عقبة بن نافع عام٥٠ هـ .

وتعتبر القيروان من أقدم وأهم المدن الإسلامية، بل هي المدينة الإسلامية الأولى في منطقة المغرب ويعتبر إنشاء مدينة القيروان بداية تاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب العربي.

وقــد ظلت عاصمة للبــلاد وأحد أكثر مراكز الثقافة العربية الإســلامية تألقاً بالمغرب الإسلامي طيلة خمسة قرون من السابع إلى الثاني عشر للميلاد.

ومن أهم المعالم التاريخية التي فيها:

١ـ جامــع عقبة بــن نافع، ويعد من أبرز مــا جاءت به العمــارة القيروانية في الحضارة الإسلامية بالمغرب العربي، وقد أسس سنة ٥٠ هـ .

٢ـ الجامع الكبير: ويرجع تاريخه إلى العام ٢٢٠ هـ .

٣ـ مسجد ابن نيرون أو جامع الأبواب الثلاثة ويرجع عهده إلى القرن الثالث الهجري.

المصدر: موقع تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة

بدعة الجبر

أسبابها.. أخطارها

د. محمد كاظم الفتلاوي •
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

تعد البدعة من الأخطار الكبيرة التي نص علىٰ حرمتها الكتاب الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، وهي ضلالة تؤدي بصاحبها إلىٰ الجحيم، ذلك بان المبتدع في الدين مفتر علىٰ الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله: قال تعالىٰ: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٢١) فهو يسوق الأمة وفقاً لأهوائه إلىٰ سبيل منحرف ينتهي إلىٰ الفرقة والتناحر والاقتتال، بدلاً من السبيل السوي الذي اختاره الله تعالىٰ لسعادة البشرية: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (الأنعام: ١٥٣).

ينابيع

فمن المقولات المحدثة في هذه الأمة مقولة الجبر التي روج لها الأمويون لتثبيت سلطانهم، فبعد (أن استوثقت الأمور لمعاوية بن أبي سفيان استخدم عدّة وسائل لإخضاع الأمة الإسلامية إلىٰ إرادته وإخماد أي صوت يعارض سلطته، فاعتمد منهجاً ذا خطوات خطيرة لتطبيق أطروحته ومشروعه لتبديل الإسلام بالجاهلية الأموية، ومن هذه الخطوات، والأساليب صناعة المذاهب والفرق المعادية للإسلام)[1].

ويؤكد الدكتور أحمد أمين (المصري): أن (بني أمية كما يظهر كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة، لا دينياً فقط، ولكن سياسياً كذلك، لأن الجبر يخدم سياستهم. فالنتيجة للجبر أن الله الذي يسيّر الأمور

قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء، ودولتهم بقضاء الله وقدره، فيجب الخضوع للقضاء والقدر)[٢].

وقد تبنت طائفة من المسلمين هذه الفكرة، فكانت المنظومة السلفية (جبرية) من حيث إنها لم تنتصر قط (للحرية الإنسانية)، وإن الجبرية المطلقة التي يقول بها الجهمية، لا تعدو أن تكون:

١- نفياً للقدرة الإنسانية علىٰ الفعل مطلقاً.

٢- ونفياً للإرادة الإنسانية علىٰ الاختيار.

فإن هذا هو عين ما انتهت إليه من الناحية العملية، أطروحات الأشاعرة[٣]، التي لا تعدو أن تكون مجرد تفنين كلامي للموقف السلفي الحديثي المتوجس بطبعه من الحرية، لاسيما إذا اقترن هذا الرأي بالسيف (السلطة) وتعلق وجودها عليه (٤).

ويورد الشهرستاني عن جهم قوله: (إن الإنسان ليس يقدر علىٰ شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا اختيار، وإنما يخلق الله الأفعال فيه علىٰ حسب ما يخلقها في سائر الجمادات)[٥].

وكذلك قول الأشعري: (إن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم، كذلك سائر المخلوقات وحركاتها كلّها مخلوقة لله)[٦].

وفي كلا النصّين نلحظ نفياً للقدرة الإنسانية المؤثرة، ومن ثمة الجبر علىٰ أفعال العباد.

وذهب فريق آخر إلىٰ تفويض أفعال العباد إليهم، وقالوا: (إن العبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازي علىٰ فعله والربّ تعالىٰ أقدره علىٰ ذلك) [٧].

والظاهر أن الرأي الأخير هو رأي مضاد للرأي الأول، وقد تبنّىٰ الرأي الثاني المعتزلة وهو القول بالتفويض المطلق.

وطال النزاع الكلامي بين أصحاب الرأيين وكان لكل منهم أتباع يروّجون له، فكانت سبباً في اضطراب عقيدي كبير وفتن واسعة، فتصدّىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام للرأيين معاً، في دور طويل وخطير في دفع الشبهات، وهداية الناس إلىٰ المحجة البيضاء والصراط المستقيم، ومن كلماتهم عليهم السلام في هذا:

- عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قالا: (إن الله عز وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقهُ علىٰ الذنوب ثم يعذبهم عليها، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون)، قال فسُئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: (نعم، أوسع مما بين السماء والأرض) [٨].

- وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (الله تبارك وتعالى أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقونه، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد) [٩].

- وعنه عليه السلام قال: (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) [١٠].

وتفسير هذا الحديث: (إن العبد يفعل ويترك بقضاء الله وقدره ومشيئته، لكن لا بقضاء وقدر لازم ومشيئة، بل الفاعل مع القضاء والقدر والمشيئة قادر علىٰ الترك، والتارك معها قادر علىٰ الفعل) [١١].

ونلحظ بذلك انسجام هذا الرأي مع الفطرة الإنسانية ومراعاة القدرة الإلهية.

يقول الشيخ عبد الله نعمة: (وهو الطريق الوسط الذي يتلاءم مع واقع الإنسان في أفعاله، ولا يتنافىٰ مع عدل الله سبحانه) [١٢].

ويوضح السيد محمد حسين الطباطبائي فيقول:

إحداها: إن التشريع ليس مبنياً علىٰ أساس الإجبار في الأفعال، فالتكاليف مجعولة علىٰ وفق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم أولاً، وهي متوجهة إلىٰ العباد من حيث إنهم مختارون في الفعل والترك ثانياً، والمكلفون إنما يثابون أو يعاقبون بما كسبت أيديهم من خير أو شر اختياراً.

ثانيها: إن ما ينسبه القرآن إليه تعالىٰ من التضليل والخدعة والمكر والإمداد في الطغيان وتسليط الشيطان وتوليته علىٰ الإنسان وتقييض القرين ونظائر ذلك جميعها منسوبة إليه تعالىٰ علىٰ ما يلائم ساحة قدسه ونزاهته تعالىٰ عن ألوان النقص والقبح والمنكر، فإن جميع هذه المعاني راجعة بالآخرة إلىٰ التضليل وشُعَبه وأنواعه، وليس كل تضليل (حتىٰ التضليل البدوي وعلى سبيل الإغفال) بمنسوب إليه ولا لائق بجانبه، بل الثابت له التضليل مجازاة وخذلاناً لمن يستقبل بسوء اختياره ذلك، كما قال تعالىٰ: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (البقرة: ٢٦)، وقال تعالىٰ: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) (الصف: ٥).

وقال تعالىٰ: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ) (المؤمن: ٣٤).

ثالثها: إن القضاء غير متعلق بأفعال العباد من حيث إنها منسوبة إلىٰ

الفاعلين بالانتساب الفعلي دون الانتساب الوجودي...[١٣].

رابعها: إن التشريع كما لا يلائم الجبر كذلك لا يلائم التفويض، إذ لا معنىٰ للأمر والنهي المولويين فيما لا يملك المولىٰ منه شيئاً، فضلاً عن أن التفويض لا يتم إلا مع سلب إطلاق الملك منه تعالىٰ عن بعض ما في ملكه[١٤].

ونلحظ أن حديث (الأمر بين الأمرين) مبطل للرأيين المتقدمين الجبر والتفويض وثابت لحقيقته، والروايات عن أهل البيت عليهم السلام بهذا الخصوص (دالة علىٰ بطلان الجبر والتفويض من ناحية، وعلىٰ ثبات الأمر بين الأمرين من ناحية أخرىٰ ولو لا تلك الروايات لوقعوا في جانبي الإفراط أو التفريط كما هو وقع أصحاب النظريتين الأوليتين)[١٥].

والخلاصة:

إن للبدعة دوراً خطيراً وهداماً للعقيدة، ويترتب عليها مفاسد أخرىٰ يطرب إلىٰ آثارها حكام الجور وغير الشرعيين في سلطانهم، وسَوْق الرعية (المجتمع) بالظلم باسم الدين والشرع، وهو ما كان فيه عصر

بني أُمية[16] وأمثالهم من تلبيس مطامعهم وقمعهم للمسلمين مشروعية إلهية، فكان لزاماً علىٰ العلماء التصدي لهذه البدعة وإظهار علمهم في مكافحة البدع من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفعيل طريق الحوار وإبداء الرأي، وامتاز أئمة أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم في حفظ العقيدة من التصدع في نفوس المسلمين ■

(١) مؤيد العبيدي، الدوافع السياسية وآراء نشوء المذاهب والفرق ومواجهة الإمام الصادق عليه السلام لها (المرجئة نموذجاً)، بحث ضمن: دراسات وبحوث مؤتمر الإمام جعفر الصادق (ع)، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)، ١٤٢٤هـ، ص٣٠١.

(٢) ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ٢٠٠٠م، ٨١/٣، ظ: احمد محمد الوزّة، علاقة القضاء والقدر في أفعال البشر، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٢٦.

(٣) ظ:الرازي (ت٦٠٦هـ)، القضاء والقدر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣١-٣٢.

(٤) ظ: أستاذنا الدكتور رؤوف أحمد الشمري، محاضرات ألقيت على طلبة الماجستير في كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠٠٧م.

(٥) الملل والنحل، ١٠ / ٩١.

(٦) الأشعري، اللمع في الرد علىٰ أهل الزيغ والبدع، تحقيق: د. حمدي غرابة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٦٩، ظ: الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، عالم الكتب، ١٩٨٦، ص٢١٠.

(٧) الشهرستاني، الملل والنحل، ٥٤/١، ظ: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣٩/٢.

(٨) الصدوق، التوحيد، ص ٣٦٠، الكليني، الكافي، ١/ ١٥٩.

(٩) ن.م، ص ٣٦٠، ن.م، ١/ ١٦٠.

(١٠) الصدوق، التوحيد، ص٣٥٢، لنفس المؤلف، الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص ٢٩.

(١١) محمد طاهر ألقمي الشيرازي (ت ١٠٩٨)، كتاب الأربعين، تحقيق:السيد مهدي رجائي، الناشر: المحقق، ١٤١٨هـ، ص١٦١.

(١٢) هشام بن الحكم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص ١٩٣.

(١٣) ظ: في القضاء والقدر: الإحسائي: أحمد بن زين الدين الأوحد (ت١٢٤١هـ)، القضاء والقدر، تحقيق: صالح احمد الدبّاب، مؤسسة شمس هجر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.

(١٤) الميزان، ١ / ٩٦ - ٩٧.

(١٥) تقرير بحث السيد الخوئي، للفياض، محاضرات في أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٩هـ، ص٤٨.

(١٦) (كان الوليد يقول: لا ينبغي لخليفة أن يناشد ولا يُكذب ولا يسميه أحد باسمه)، اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ العقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ٢/ ٢٩٠، وقد وقف الوليد بعد ذلك خطيباً علىٰ منبره فقال: (إنكم كنتم تكلمون من كان قبلي من الخلفاء بكلام الأكفاء وتقولون يا معاوية ويا يزيد، وإني أعطي الله عهداً يأخذني بالوفاء به: لا يكلمني أحد منكم بمثل ذلك إلا أتلفت نفسه فلعمري إن استخفاف الرعية براعيها سيدعوها إلىٰ الاستخفاف بطاعته والاستهانة بمعصيته، قال محمد بن عبد الله القطان بلغنا أن رجلاً من بني مُرّة قال: اتق الله يا وليد فإن الكبرياء لله، فأمر به فتوطئ حتىٰ مات واتعظ الناس به، وهابوه لذلك، ظ: د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، أخبار الدولة العباسية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١، ص ١٧٨، ظ: د. حسين عطوان، الأمويون والخلافة، دار الجيل، ١٩٨٦، ص ١٤٥ – ١٤٦، للتوسعة،ظ: محمد جواد مغنية،الشيعة والحاكمون،وهكذا كان للبدعة أن تصنع منذ وقت مبكر في تكريس الطغيان وتثبيت القهر وإضفاء القداسات الوثنية علىٰ الحكام.

علماؤنا..

القاضي النعمان المغربي

اسمه وأسرته: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون تميمي الأصل، انحدر من أسرة مغربية من القيروان. ولادته بحدود سنة ٢٩٢ هـ.

وكان لرجال الأسرة القدح المعلى في القضاء والدعوة.... وصف والده بالفضل والعلم والنبل، وبتوليه القضاء. وقد عمّر ويحكي أخبارًا كثيرة نفيسة حفظها وعمره أربع سنين، توفى وعمره مائة وأربع سنين.

كان من أسرة شيعية إمامية المذهب، وتعاطف مع الفاطميين فكتب لهم ما يرغبون إشاعته في المجتمع، ولم يتعد رغباتهم قيد أنملة، وقد أفرط في الاحتماء بالتقية التي كان يعيها بأساليبها وعيًا كاملًا، فقيل عنه بأنه إسماعيلي المعتقد لما قدمه من خدمات في الدولة الفاطمية التي كانت تعتنق المذهب الإسماعيلي.

وذهب جمع من أعلام الشيعة إلى أن النعمان كان إماميًا على مذهب الشيعة الاثني عشرية، وتستر بالتقية بأقصى درجاتها في خدمته للفاطميين،وأظهر كونه إسماعيليًا خوفًا من بطشهم ..

وإلا لا معنى لتصنيف غير الإمامي كتابًا في مثالب الغاصبين للحق، وكتابًا آخر في فضائل الأئمة الأطهار، وكتابًا في الإمامة، وكان يتقي في كتبه من أن يروي عن الأئمة بعد الإمام الصادق صريحًا لكنه يروي عنهم بالكنى المشتركة، فيروي عن الرضا بعنوان أبي الحسن، موهمًا أنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعن الجواد بعنوان أبي جعفر موهمًا أنه الباقر عليه السلام.

تعد أعماله ووظائفه قمة المسؤولية في عهد الدولة الفاطمية، فقد شغل عدة مناصب، فقد عين قاضيًا على مدينة طرابلس ثم على المنصورية وبذلك وصل إلى أعلى المراتب في الدولة الفاطمية، وبلغ مبلغًا عظيمًا من الثراء. كما أنه في هذا العهد كتب ونشر كتبه وتصانيفه. وينسب إليه كتاب (دعائم الإسلام) المعروف لدى فقهاء الشيعة الإمامية، ولم يقتصر نشاطه الفكري على جانب واحد، بل ساهم في مختلف فروع المعرفة التي أغنت المكتبة الفاطمية من الفقه والعقيدة والتأويل والتأريخ والوعظ .ألف لأهل البيت من الكتب ٤٥ كتاباً ورسالة .

توفى القاضي النعمان المغربي في القاهرة في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ وحزن المعز لموته وصلى عليه وأضجعه في التابوت، ودفن في داره بالقاهرة، ولا تزال جوانب كثيرة من حياته مجهولة، فقد استخدم التقية بأعلى درجاتها ليخفي عقيدته ومذهبه في الظاهر، وينشره من خلال كتاباته وآثاره.

المصدر: شرح الأخبار (نقل بتصرف)

علم الغيب والتكليف الشرعي

سعد حاتم مرزه •
باحث إسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾(١)

تثار التساؤلات من قبل البعض عن الأسباب التي دعت الإمام عليّاً عليه السلام ليؤم المصلين لصلاة الفجر، رغم علمه بأنه عليه السلام سيقتل أثناء الصلاة، والتي دعت الإمام الحسين عليه السلام، للذهاب إلى كربلاء رغم علمه أن أنصار بني أمية سيقتلونه، مع كل أفراد جيشه. ويسأل البعض، إذا كان عليه السلام يعلم بمصيره، ومصير عائلته، فلماذا أخذ النساء والأطفال معه، مع علمه بسبيهم؟ تصور البعض أسباباً لعدم ذهاب كل أفراد بني علي عليه السلام أو بني هاشم، كالمرض مثلاً، مع الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء للجهاد بين يديه في حربه مع بني أمية لنصرته.

قال السيد الطباطبائي، رداً على من زعم، بأنهم عليهم السلام يعيشون مدى حياتهم، عيشة سائر الناس، فيقصدون مقاصدهم ساعين إليها، على ما يرشدهم إليه الأسباب الظاهرية، ويهدي إليه السبل العادية، فربما أصابوا مقاصدهم، وربما أخطأ بهم الطريق فلم يصيبوا، ولو علموا الغيب، لم يخيبوا في سعيهم أبدًا، فالعاقل

لا يترك سبيلًا يعلم يقينًا، أنه مصيب فيه، ولا يسلك سبيلًا يعلم أنه مخطئ فيه، فقال: (إن ذلك مغالطة، بالخلط بين العلوم العادية وغير العادية، فالعلم غير العادي بحقائق الأمور، لا أثر له في تغيير مجرى الحوادث الخارجية).

ثم أوضح السيد الطباطبائي رأيه، قائلًا: (إن أفعالنا الاختيارية، كما تتعلق بإرادتنا كذلك تتعلق بعلل وشرائط أخرى، مادية زمانية ومكانية، إذا اجتمعت عليها تلك العلل والشرائط، وتمت بالإرادة، تحققت العلة التامة، وكان تحقق الفعل عند ذلك، واجبًا ضروريًا، إذ من المستحيل تخلف المعلول عن علته التامة، ثم فصل ما يراه تفصيلًا كافيًا لمن أراد المزيد)[٢].

وأوضح السيد عبد الله شبر رأيه قائلاً: (إن أمير المؤمنين عليه السلام كان عارفاً بقتله، في ذلك الوقت، ومع ذلك إنه أبى إلا الخروج في تلك الليلة، مع علمه بأنه يقتل في خروجه، فكان هذا مما لم يجز تعرضه، فكيف فعل عليه السلام ذلك، والحال إن إلقاء اليد إلى التهلكة منهي عنه عقلاً ونقلاً).

فأجاب عن ذلك قائلاً: (إنه عليه السلام خير في تلك الليلة، أي جعل إليه الأمر، والخيار في أن يختار لقاء الله، أو البقاء في الدنيا، فاختار عليه السلام لقاء الله تعالى، فسقط عنه وجوب حفظ النفس).

وقد أوضح معنى ذلك بقوله: (إنهم عليهم السلام في جميع حالاتهم يجرون على ما اختارت لهم الأقضية الربانية

والتقديرات الإلهية فكلما علموا أنه مختار له تعالى، مرضي لديه، اختاروه ورضوا به، سواء كان في قتل أو هوان وذل مع أعدائهم، وإن كانوا عالمين بذلك وقادرين على دفعه بالدعاء والتضرع ولكنهم تركوا الدفع واختاروا الوقوع لعلمهم برضائه سبحانه بذلك).

وقال: (إن مطلق الإلقاء باليد إلى التهلكة، غير محرم، لأنه مخصص بالجهاد والدفع عن النفس والأهل والمال، والإعطاء باليد إلى القصاص، وإقامة الحدود وغير ذلك).

ونقل السيد شبر عن الكافي، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: (أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض، ثم خير النصر أو لقاء الله تعالى، فاختار لقاء الله، يعني وخير بين الأمرين، فاختار لقاء الله لما علم أنه مرضي له تعالى).

ونقل حديثًا كذلك عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: [(إن الله تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليه وقضاه وأمضاه وحتمه، على سبيل الاختيار ثم أجراه، فيتقدم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي والحسن والحسين وبعلم صمت من صمت منا.]

ولو أنهم حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عز وجل وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عز وجل أن يدفع ذلك عنهم، وألحوا عليه في إزالة تلك الطواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم، أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد. بعد ذلك قال الإمام عليه السلام: (كان ذلك) لمنازل وكرامة من الله، أراد أن يبلغوها)[٣].

لتأكيد ما ذهب إليه السيد شبر، نقول: إن الله عز وجل أعلم رسول الله صلى الله عليه وآله كما في بعض الأخبار عن البلايا التي سيتعرض لها أهل بيته عليهم السلام، ومن منهم يموت مسمومًا ومنهم من يقتل. وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام بذلك، فلم يطلب أحد منهم من الرسول صلى الله عليه وآله أن يدعو الله تعالى لدفع ذلك عنهم، وأن يعيشوا في رفاه وسعادة في الدنيا لأنهم رضوا بقضاء الله تعالى فيهم، ولا يدعون الله تعالى إلا إذا كان مطلبهم فيه رضا الله عز وجل ويقع ضمن إرادته تعالى.

ويؤكد ذلك، عندما أقدم البعض على جمع الحطب لإحراق بيت الإمام علي عليه السلام بمن فيه، وفيه بنت الرسول فاطمة عليها السلام وظن البعض عدم صحة هذه الحادثة لأنه عليه السلام كان شجاعًا ولا يمكن أن يقف مكتوف الأيدي أمام أمثال هذه المحاولات العدائية، ولكن الإمام عليًا الهادي عليه السلام ضمن الزيارة المخصوصة لأمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير (١٨ ذي الحجة)، أوضح أسباب مواقف أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في مثل هذه الحالات بقوله:

(وأشهد أنك ما اتقيت ضارعًا ولا أمسكت عن حقك جازعًا، ولا أحجمت عن مجاهدة غاصبيك ناكلًا، ولا أظهرت الرضا بخلاف ما يرضي الله مداهنا، ولا وهنت لما أصابك في سبيل الله، ولا ضعفت ولا استكنت عن طلب حقك مراقبًا، معاذ الله أن تكون كذلك بل إذ ظلمت احتسبت ربك وفوضت إليه أمرك وذكرتهم فما اذكروا ووعظتهم فما اتعظوا وخوفتهم فما تخوفوا. وفي مكان آخر من نفس الزيارة قال عليه السلام: وأشهد أنك ما أقدمت، ولا أحجمت ولا نطقت ولا

أمسكت، إلا بأمر من الله ورسوله)[٤].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك لزيادة التوضيح، فنقول: إن الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام قد أعلمهم الله بعض أو كل علوم الغيب مما يحتاجون إليه ومما يؤكد صحة رسالتهم ويصدق دعواهم وتم ذلك بعد أن علم الله تعالى بأنهم لا يعصونه ولا يخافون فيه تعالى لومة لائم فهم (**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**).

إن ابن آدم لم يكن نبياً ولا رسولاً، الذي أراد أخوه أن يقتله، لم يبدأ بالاعتداء على أخيه، الذي هدده بالقتل، لأنه علم أن الله حرم القصاص قبل وقوع الجريمة، فالتزم بما أمره الله وامتنع عن البدء بقتل أخيه ولا يعني ذلك بأنه قد ألقى بنفسه إلى التهلكة.

علمًا أن الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام، أعلم من ابن آدم هذا، وأعلم من جميع الخلق بما حرمه الله وبما أوجبه عليهم، فإن علموا أن فعلًا ما قد أوجبه الله عليهم فإنهم يقومون به وإن كان في ذلك هلاكهم أو بلاء يصيبهم.

الجهاد في سبيل الله تعالى من الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده في سبيل نشر مبادئ دينه وإعلاء كلمته في الأرض ولكن النتائج المرجوة من الجهاد، وترك الجهاد إن أمكن ذلك، هما ما يوازن بينهما المجاهد أو القائد، قبل أن يجاهد بنفسه وماله.

إن الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام هم أعلم الخلق بهذه الموازنة المعقدة فقدم الكثير منهم نفسه وماله في سبيل الله فلا يقال بأنهم قد ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة. فقد كان أول من ثبت على العقيدة ياسر وزوجته اللّذَين بشرهما رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة، بينما عمل ابنهما عمار بالتقية فأخبر عمار الرسول صلى الله عليه وآله بالموقفين فبشرهم صلى الله عليه وآله جميعًا بالجنة.

وعلم الإمام علي عليه السلام بأن الزبير سيقاتله، ومع ذلك أرسل له ابن عمه عبد الله بن العباس (ليهديه إلى طاعته) كما في قول الرضي في نهج البلاغة[٥].

إن الإمام عليًا عليه السلام عندما علم بموعد قتله من قبل الشقي ابن ملجم، علم كذلك أن واجبه الشرعي يفرض عليه إقامة الصلاة جماعة، والقيام بفروض الله تعالى وأن قتله في سبيل الله أثناء القيام بفرائضه أحب إليه من أن يموت على فراشه، فلو علم الله عز وجل بأنه سيهرب من القتل بترك إمامة المؤمنين لصلاة الفجر لما أخبره بموعد استشهاده ومن سيقتله.

جاء في الزيارة المخصوصة للإمام علي عليه السلام يوم الغدير، المنقولة عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: (ولك فضيلة الجهاد على تحقيق التأويل، وعدوك عدو الله جاحد لرسول الله صلى الله عليه وآله يدعو باطلًا ويحكم جائرًا ويتآمر غاصبًا ويدعو حزبه إلى النار وعمار يجاهد وينادي بين الصفين: الرواح الرواح إلى الجنة، ولما استسقى فسقي اللبن كبر، وقال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن، وتقتلك الفئة الباغية، فاعترضه أبو العادية الفزاري فقتله.

فعمار بن ياسر، قد بشره الرسول صلى الله عليه وآله باستشهاده على يد الفئة الباغية، فلم يمنعه علمه بذلك، أن يقاتل هذه الفئة تحت قيادة الإمام علي عليه السلام في معركة صفين. حجر بن عدي الذي خيّرهُ قَتَلَتَهُ بين سب الإمام علي عليه السلام فنجاته من القتل وبين القتل،

فاختار القتل استشهادًا في سبيل الله لكي لا يقع في معصية الله تعالى. ولم يقل أحد بأن هذين الشهيدين وغيرهما قد ألقوا بأنفسهما إلى التهلكة.

كان رسول اللهﷺ يدعو الله على بعض المعاندين والحاقدين بالعذاب والفناء فيجيب الله جلت قدرته دعاءه، فينزل عليهم العذاب والفناء سريعًا، كذلك يفعل أوصياؤهعليهم السلام عندما علموا أن الله تعالى، لم يقض عليهم الموت في ذلك الوقت أو أن مضمون دعائهم مرضي له تعالى فدعوه مخلصين أن ينزل العذاب بأعدائهم الطغاة فاستجاب الله لهم فكان قتلهم أو موتهم أسرع مما يتصورون.

أذن أمير المؤمنين الإمام عليعليه السلام لطلحة والزبير عندما طلبا الاستئذان منه لأداء العمرة، فأذن لهما ولكنه أخبرهما بأنهما لا يريدان العمرة وإنما يريدان الغدر به بالذهاب إلى البصرة لإعلان الحرب ضده وهكذا كان.

فقد جاء في الزيارة المخصوصة لهعليه السلام في يوم الغدير، المشار إليها أعلاه: (وإذ ماكرك الناكثان فقالا نريد العمرة، فقلت لهما لعمركما ما تريدان العمرة، ولكن تريدان الغدرة، فأخذت البيعة عليهما وجددت الميثاق فجدا في النفاق فلما نبهتهما على فعلهما أغفلا وعادا وما انتفعا وكان عاقبة أمرهما خسرا).

هكذا فعلعليه السلام، عندما حارب أصحاب الشام في معركة صفين رغم علمهعليه السلام بعدم انتصاره، كذلك أعد جيشًا ضخمًا اجتمع له مائة ألف سيف قبل استشهاده بفترة قصيرة رغم علمهعليه السلام بأنه سيقتل للعودة لمحاربة أهل الشام مرة أخرى كما نقل ذلك ابن أبي الحديد[٦]. كذلك فعلعليه السلام مع قاتله الذي كان يعرفه مسبقًا فلم يتخذ أي إجراء ضده كإبعاده عن الكوفة مثلا لأن القصاص لا يمكن إيقاعه قبل وقوع الإثم.

تمكن ابن أبي الحديد مثلا، أن يحدد ما تحقق من تنبؤات الإمام عليعليه السلام سواء ما ورد منها في (نهج البلاغة) أو غيره من الكتب، وأكد بأنه استدل منها على صدق ما قاله الإمام عليعليه السلام بأن النبيﷺ قد أخبره بذلك[٧].

أكرم الله أنبياءه ورسله وأوصياءهم عليهم السلام، وأنعم عليهم وخصهم، وأقوامهم بفضائل أشار إلى بعضها القرآن الكريم وذكرت غيرها كتب التراث الإسلامي فقد كانوا يستفيدون من علم الغيب أحيانًا عندما يعلمون أن إرادة الله تعالى قضت بخلاف ما هو ظاهر بموجب النظام الطبيعي.

امتنع الرسولﷺ من الأكل من طعام مسموم قدم إليه، من خلال علمه بالغيب، وكذلك بنفس العلم أرشد كثيرًا من أصحابه إلى وسائل مختلفة لشفائهم من الأمراض والعلل والبلاء، وإطعامه الأعداد الغفيرة من أصحابه، أكثر من مرة من طعام قليل، وإكثار مياه الآبار وإروائه أصحابه من ماء قليل... الخ.

وكذلك كل الذين استشهدوا في معركة الطف، علموا بموتهم في يوم عاشوراء، ولم يهربوا من المعركة، لأنهم رضوا بقضاء الله تعالى فيهم، كما رضي إمامهم، فلم يهربوا من التكليف الشرعي خوفًا من الموت، لأنهم علموا أن الموت الذي كتبه الله تعالى عليهم في علم الغيب عنده، سيكون نافذًا في نفس اللحظة والمكان، حتى لو لم يشاركوا في المعركة.

مما يؤكد أن الإخبار بالغيب، لا يعد أمرًا شرعيًا، ولا مانع من المحاولة لتغيير

القضاء، ولكن لابد من تحقيق الوعد الإلهي بفشل المحاولة. فقد علم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بأنهم سيستشهدون عطاشى، إلا أن ذلك لم يمنع الإمام الحسين عليه السلام، من إرسال أخيه العباس عليه السلام لإحضار الماء وفعلًا استطاع العباس عليه السلام الحصول على الماء، ولكن الجيش الأموي استطاع منع وصول الماء إلى الحسين عليه السلام وعائلته وما بقي من أصحابه، فتحقق الوعد الإلهي بموت شهداء الطف عطاشى.

لا أعلم إن كان هؤلاء، الذين يرفضون إمامة الإمام علي عليه السلام يوم شهادته للمصلين وذهاب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع عائلته، إن كان قصدهم تكذيب الله عز وجل في علمه للغيب، أو تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله في إخباره عن الله تعالى، أم تكذيب الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام فيما نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أنهم أرادوا، لو لم يكن ما قاما به، أن يقولوا بأنهما عليهما السلام، قد هربا من الموت الذي قضاه الله عز وجل عليهما، للدفاع عن الإسلام فاستحقا غضب الله تعالى وحاشاهما من معصية الخالق الذي علم منهما منذ الأزل أنهما لا يعصيانه أبداً، ولو علم خلاف ذلك لما أعلمهما الغيب.

الخلاصة إن علومهم عليهم السلام بالغيب كانت في كثير من الأحيان سببًا في توجيه أصحابهم بما فيه الخير لهم والحماية ودفع الأذى عنهم، ولكن مع ذلك هناك حالات علموا فيها أن الحكمة الإلهية ومصالح العباد وحكم القضاء لابد أن توقع ما فيه البلاء والأذى، أو أن بعض نتائجه البلاء والأذى أو أن البلاء لابد من وقوعه لمصالح خفيت عن العباد.

وما التوفيق إلا من عند الله، عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله رب العالمين ■

(١) الأنبياء: ٢٦، ٢٧.
(٢) الميزان: ٨، ١٩٢.
(٣) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار: ٣٦٦.
(٤) مفاتيح الجنان المعرب.
(٥) نهج البلاغة، بتعليق د. صبحي صالح: ٧١.
(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧، ٩٣.
(٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧، ٤٧ و٤٨.

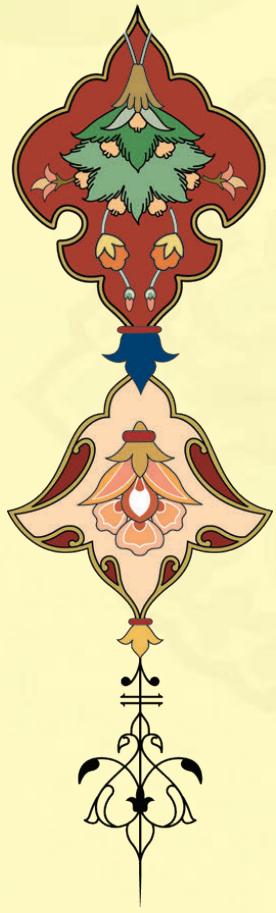

تخريج حديث (علي سيد العرب)

قراءة في سند الحديث ودلالته

علي عبد الزهرة الفحام •
كاتب وباحث

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«أَنَاْ سَيِّدُ وِلْدِ آدَم، وَعَليٌّ سَيِّدُ العَرَب»

ينابيع

ملأت الأحاديث الشريفة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كتب الحديث والسيرة والتاريخ، ورغم الحملة القاسية التي واجهتها هذه الأحاديث سياسياً وفكرياً وإعلامياً إلا أنها استطاعت أن تفرض نفسها بقوة وتخترق منظومة الحديث (السنية) لتشكل رقماً صعباً جداً في معادلة الصراع على الشرعية.

ويعد الحديث الشريف (علي سيد العرب) واحداً من الأحاديث المهمة ـ سنداً ودلالة ـ إلا أنه لم يحظ بما يستحق من العناية والاهتمام كغيره من الأحاديث الشريفة، ويكشف عن أهميته حملات التوهين غير المنصفة التي واجهها من قبل أرباب الجرح والتعديل الذين أدركوا خطورة الاعتراف بهذا النص المقدس.

طرق الحديث وأسانيده

روي الحديث الشريف مسنداً ومرسلاً عن أحد عشر صحابياً بينهم ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٤٠)، الإمام الحسن بن علي

المجتبى عليه السلام (ت٥٠)، الإمام الحسين بن علي الشهيد عليه السلام (ت٦١).

أما رواة الحديث من التابعين فبلغوا خمسة عشر تابعياً بينهم اثنان من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم: الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام (ت٩٤)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ت١٤٨).

سند الحديث عن عائشة:

وقد رواه عنها اثنان من كبار التابعين (سعيد بن جبير وعروة بن الزبير).

أولاً: طريق سعيد بن جبير عن عائشة: فأما التابعي الكبير سعيد بن جبير (ت٩٥) فهو من كبار الثقات عند الجمهور وموثق عند الشيعة أيضاً، روى الحديث عنه أبو بشر الثقة وتابعه من الشيعة أبو الجارود (زياد بن المنذر) كما في معاني الأخبار ص١٠٣ للشيخ الصدوق (رحمه الله). وأبو بشر هو (جعفر بن إياس بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير) - تقريب التهذيب ١٦٠/١، وقد ورد الحديث عن أبي بشر بطريقين أقواهما طريق أبي عوانة، وهو وضاح بن عبد الله اليشكري (الحافظ الثبت، ثقة متقن ت ١٧٦كما في الكاشف ٣٤٩/٢).

وقد روى الحديث عن أبي عوانة كل من: (يحيى بن عبد الحميد الحماني (ثقة ت٢٢٨)، عمر بن الحسن الراسبي (صدوق)، الحسن بن عمر الفزاري (ثقة ت١٨١)، أحمد بن عبد الملك الحراني (ثقة

ت٢٢١)، عبد الله بن صالح بن أبي سلمة النصيبيني) وفي أدناه تفصيل هذه الطرق:

أ- طرق الحديث عن (يحيى بن عبد الحميد):

وقد روى الحديث عن يحيى بن عبد الحميد كل من (خضر بن أبان، محمد بن عمرو بن الموجه)، فأما خضر فهو أبو القاسم الكوفي الهاشمي بالولاء، روى عنه الثقات وصحح حديثه الحاكم على شرط الشيخين في مواضع عدة ووافقه الذهبي فلا صحة لما أورده الدارقطني من أن الحاكم ضعفه (سؤالات الحاكم ص١١٦)، وقد وردت رواية خضر بن أبان الهاشمي في كتاب (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام) ٥١٢/٢ رواها عنه صاحب الكتاب أبو جعفر محمد بن سليمان الكوفي، وهو من أجلاء علماء الزيدية، والحديث ينتهي إلى عائشة قالت: كنت جالسة عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي فقال: هذا سيد العرب. فقلت بأبي أنت وأمي ألست سيد العرب؟ قال:(أنا سيد العالمين وهذا سيد العرب).

وأما رواية محمد بن عمرو بن الموجه، وهو الحافظ الفزاري الثقة (تذكرة الحفاظ ٦١٥/٢)، فقد أوردها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠٤/٤٢-٣٠٥ قال: أخبرناه إسماعيل بن أبي صالح (حافظ مشهور وثقه الذهبي) حدثنا محمد بن أحمد بن أبي جعفر (وثقه الذهبي) حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الصدقي (فقيه مشهور روى عنه الثقات) حدثنا الحسن بن محمد بن [حليم] (صحح حديثه الحاكم ووافقه الذهبي) حدثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه (ثقة حافظ) حدثنا يحيى يعني الحماني (ثقة) حدثنا أبو عوانة (ثقة) عن أبي بشر (ثقة) عن سعيد بن جبير (ثقة) عن عائشة... الحديث. وقد روى الذهبي الحديث بهذا الإسناد ولم يطعن فيه إلا أن قال (وهو غريب)!! فالغرابة في المتن الذي لم يرق للذهبي أما إسناده فقوي (راجع: تاريخ الإسلام ٦٣٦/٣).

ب- طرق الحديث عن (عمر بن الحسن الراسبي):

أما طريق (عمر بن الحسن الراسبي البصري) فقد رواه عنه أربعة من الرواة (محمد بن معاذ، عثمان بن أبي شيبة، محمد بن أبي سمينة، محمد بن النعمان)، ولم يجد الذهبي وابن حجر وسواهما مطعناً في هذه الطرق إلا (عمر بن الحسن الراسبي البصري) نفسه إذ وصفوه بالجهالة ورموه بوضع الحديث!! (لسان الميزان ٢٨٩/٤)، وكان الذهبي قد اتهمه بوضع الحديث في تعليقه على المستدرك للحاكم فقال: (أظن أنه هو الذي وضع هذا)!!

أقول: لعمري ما جر الذهبي لهذا الحكم وهذا (الظن) إلا الانغلاق النفسي وشدة التعصب لأن (الظن لا يغني من الحق شيئاً)، ووثاقة الرجل ثابتة بعدة جهات:

١. تصريح الحاكم في المستدرك أنه (صدوق) إذ قال في ١٢٤/٣: (وأرجو أنه صدوق).

٢. إنه (بصري) والتشيع في البصرة قليل، ولا يقل النصب فيها عن نصب أهل الشام.

٣. إن ابن أبي حاتم الرازي ذكره ولم يطعن فيه (الجرح والتعديل ١٠٣/٦).

٤. روى عنه ثلاثة من الثقات هم (عمر بن شبة، عثمان بن أبي شيبة، محمد بن أبي سمينة) فرواية الثقات عنه مع شهادة الحاكم بصدقه وخلوه من الجرح أدلة كافية

لتوثيقه.

٥. أنه لم يتفرد برواية الحديث حتى يُتهم بوضعه، فللحديث أسانيد كثيرة من غير طريقه.

٦. إن روايته هذه تقبلها عنه الثقات ونقلوها في الكتب والمصنفات بطرق عديدة وهم كما ذكرنا ثلاثة من الثقات.

فأما طريق محمد بن أبي سمينة (محمد بن يحيى بن أبي سمينة واسمه مهران، ثقة مات سنة ٢٣٩ – تاريخ بغداد ١٨٣/٤) فقد أورده ابن النجار البغدادي (ت٦٤٣) في ذيل تاريخ بغداد ٦٠/٥ قال: أنبأ أحمد بن طارق (ثقة ت٥٩٢) ونقلته من خطه أنبأ أبو البركات عمر بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن الطويلة (روى عنه الثقات والحفاظ كأحمد بن طارق وأبي المحاسن القرشي) بقراءتي عليه أنبأ الشريف أبو العز محمد بن المختار بن المؤيد بالله الهاشمي (ثقة) حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الحربي إملاء (صدوق) حدثنا عمر بن محمد الزيات (ثقة ت٣٧٥) حدثنا محمد بن صالح بن ذريح (ثقة ت١٣٧) حدثنا محمد بن أبي سمينة (ثقة) حدثنا عمر بن الحسن الراسبي (صدوق) حدثنا أبو عوانة (ثقة) عن أبي بشر (ثقة) عن سعيد بن جبير (ثقة) عن عائشة... الحديث.

وأما طريق محمد بن معاذ فقد أورده الحاكم في المستدرك ١٢٤/٣ وصححه.

وأما طريق عثمان بن أبي شيبة عن عمر بن الحسن الراسبي فقد رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠٥/٤٢ قال: أخبرنا أبو العز بن كادش (مختلف فيه) قال حدثنا أبو محمد الجوهري إملاء (ثقة أمين من بحور الرواية – سير أعلام النبلاء ٦٩/١٨) حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن يحيى العطشي (ثقة مأمون ت٣٧٤ – تاريخ بغداد ٣٩٦/١) حدثنا محمد بن صالح بن ذريح (ثقة متقن ت٣٠٧ – سير أعلام النبلاء ٢٥٩/١٤) حدثنا عثمان بن أبي شيبة (ثقة ت٢٣٩ –تذكرة الحفاظ ٤٤٤/٢) حدثنا عمر بن الحسن الراسبي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن عائشة.. الحديث.

ج- طريق الثقة أحمد بن عبد الملك الحراني (ت٢٢١)

ذكره أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ثقة ت٣١١) في كتابه (العلل) نقلاً عن شيخه أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم (ثقة ت٢٦٠) الذي سمع الحراني الثقة يذكر أنه روى هذا الحديث، ويظهر من الكتاب أنه روى الحديث عن أبي عوانة بسنده المذكور عن عائشة، فإذا صح هذا فالحديث صحيح متصل رواه عدل ضابط عن عدل ضابط بموازينهم (راجع: منتخب علل الخلال لابن قادمة المقدسي ص٢٦٦-٢٦٧).

د- طريق الحسن بن عمر الفزاري

أورده الفقيه الشافعي المعروف بابن المغازلي الواسطي المتوفى سنة ٤٨٣ في كتابه (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام)، وفي إسناده مجاهيل (شرح إحقاق الحق ٣٨/٤).

ثانياً: طريق عروة بن الزبير (ت٩٣) عن عائشة:

وهو تابعي أموي الهوى من أعلام رواتهم، أورد روايته الحاكم في المستدرك ١٢٤/٣ قال: أخبرناه أبو بكر محمد بن جعفر القاري ببغداد (ثقة مأمون)، حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح (مختلف فيه)، حدثنا الحسين بن علوان (ضعيف عندهم ثقة عند

الشيعة)، عن هشام بن عروة (ثقة)، عن أبيه (ثقة)، عن عائشة... الحديث.

طرق الحديث وأسانيده:

سند الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام:

وقد روي عنه بطريقين:

أولاً: طريق الصحابي أبي الطفيل عامر بن واثلة عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن حديث المناشدة المعروف: أورده الشيخ الصدوق في الخصال ٥٥٣ بسند قوي قال: حدثنا أبي (ثقة)، ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (ثقة) رضي الله عنهما قالا: حدثنا سعد بن عبد الله (ثقة) قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب (ثقة)، عن الحكم بن مسكين الثقفي (حسن الحديث)، عن أبي الجارود (وثقه السيد الخوئي) وهشام أبي ساسان، وأبي طارق السراج، عن عامر بن واثلة (صحابي جليل).... الحديث.

ثانيا: طريق النزال بن سبرة عن أمير المؤمنين عليه السلام: (وهو معدود في كبار التابعين، موثق عند العامة) أورد روايته الشيخ الطوسي في أماليه ٣٦١: أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار (صدوق)، قال: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن علي بن علي الدعبلي، قال: حدثني أبي أبو الحسن علي بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل بن ورقاء أخو دعبل بن علي الخزاعي (رضي الله عنه) ببغداد سنة ٢٧٢، قال: حدثنا سيدي أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس سنة ١٩٨، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثنا أبي جعفر بن محمد، قال: حدثنا أبي محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، عن النزال بن سبرة، عن علي بن أبي طالب عليه السلام.... الحديث.

سند الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام:

رواه عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى كما ورد في المعجم الكبير ٨٨/٣: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ثقة) ثنا إبراهيم بن إسحاق الصيني (قال في الزوائد: مختلف فيه) ثنا قيس بن الربيع (صدوق)، عن ليث (هو ابن أبي سليم، صدوق مختلط)، عن [ابن] أبي ليلى (تابعي ثقة) عن الحسن بن علي رضي الله عنه.... الحديث.

ورواه الحافظ أبو نعيم المتوفى سنة ٤٣٠ في (حلية الأولياء) (ج ١ ص ٦٣، ط السعادة بمصر)، وفي السند كلام من جهة (إبراهيم بن إسحاق الصيني) و (ليث بن أبي سليم)، فأما إبراهيم بن إسحاق فقد أورده ابن حبان في الثقات وقال: (ربما خالف وأخطأ) (الثقات ٧٨/٨)، وذكره ابن أبي حاتم الرازي ولم يطعن فيه، ويقوي حديثه رواية الثقات عنه، فلا يلتفت لتضعيف الدارقطني له فهو متشدد يطعن الناس بأدنى شبهة، وأما ليث فقد احتج به عدد من أعلامهم ووصفوه بالصدق وأخذوا عليه اختلاطه في آخر عمره، ورغم ذلك فلهذا الطريق متابعات تقويه منها:

١. متابعة الثقة يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن قيس بن الربيع، كما ذكر ذلك الكوفي في (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ٢٠٨/١.

٢. متابعة حسين الأشقر (صدوق)، عن قيس عن أبيه، أوردها الشيخ المفيد أماليه ص٤٤: من طريق أبي بكر محمد بن عمر

بن سالم (هو الحافظ ابن الجعابي ثقة عند الشيعة وممدوح عند السنة، ت٣٥٥).

٣. متابعة حسين الأشقر (صدوق) عن قيس بن الربيع (صدوق) عن زبيد (ثقة) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهي أقوى المتابعات ذكرها الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في (حلية الأولياء) (ج ٥ ص ٣٨) قال: حدثنا عبد الوهاب بن العباس الهاشمي (من ذرية عبد الله بن عباس حدث عنه الثقات كأبي نعيم)، حدثنا حسين الأشقر (صدوق)، حدثنا قيس بن الربيع (صدوق)، عن زبيد (هو ابن الحارث اليامي، حجة ت١٢٢)، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ثقة)، عن [الحسن] بن علي.... الحديث.

سند الحديث عن أنس بن مالك:

روى حديثه اثنان من التابعين (حميد الطويل، عبد الله بن عبد الرحمن اليشكري).

١. طريق حميد الطويل (تابعي ثقة ت١٤٢، تذكرة الحفاظ ١٥٢/١): أورده الطبراني في المعجم الأوسط ١٢٧/٢ قال: حدثنا أحمد قال حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري (صدوق) قال حدثنا عمر بن عبد العزيز الدراع (مجهول) قال حدثنا خاقان بن عبد الله بن اهتم (مختلف فيه) قال حدثنا حميد الطويل (ثقة) عن أنس بن مالك أن رسول اللهﷺ قال من سيد العرب؟ قالوا: أنت يا رسول الله، قال: (أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب).

* الزوائد ١١٦/٩: رواه الطبراني في الأوسط وفيه خاقان بن عبد الله ابن الأهيم ضعفه أبو داود، مناقب أمير المؤمنينعليه السلام للكوفي ٥١٤/٢-٥١٥، أمالي الطوسي ٥١٠.

أما خاقان، فقد ذكره ابن أبي حاتم الرازي ولم يطعن فيه، ويقوي حاله رواية الثقات عنه كعبد الصمد بن عبد الوارث (حجة ت٢٠٧)، ومسدد بن مسرهد (ثقة حافظ ت٢٢٨).

٢. طريق عبد الله بن عبد الرحمن اليشكري:

* أمالي الطوسي ٥١٠: أخبرنا جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني (هو ابن عقدة الثقة ٣٣٢)، قال: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي (ثقة عند العامة ت٢٦٤)، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان (ثقة عند الشيعة والسنة ت٢١٦)، قال: حدثني جعفر بن ميسرة (الأشجعي ويقال له: جعفر بن أبي جعفر أبو الوفاء توفي سنة ١٨١)، عن عبد الله بن عبد الرحمن اليشكري (لعله بن معمر بن حزم النجاري الأنصاري ت ١٣٤)، عن أنس بن مالك، قال. بينما أنا أوضئ رسول اللهﷺ إذ دخل عليعليه السلام، فجعل يأخذ من وضوئه فيغسل به وجهه، ثم قال: أنت سيد العرب. فقال. يا رسول

الله، أنت رسول الله وسيد العرب. قال: يا علي، أنا رسول الله وسيد ولد آدم، وأنت أمير المؤمنين وسيد العرب. (ابن عقدة في فضائل أمير المؤمنين ع ص٢٠).

سند الحديث عن أبي سعيد الخدري برواية عطية العوفي:

أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠٥/٤٢-٣٠٦ بسند فيه مجاهيل عن فطر (ثقة) عن عطية العوفي (صدوق يخطئ ت١١١) عن أبي سعيد الخدري....الحديث. (أبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان ٣٠٨/١).

سند الحديث عن سلمان:

أورده الطوسي في أماليه ص٦٠٦ بسند فيه مجاهيل عن أبي حمزة الثمالي، قال: حدثني أبو عامر القاسم بن عوف، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: حدثني سلمان الفارسي (رضي الله عنه).... الحديث.

سند الحديث عن ابن عباس:

أورده محمد بن علي الطبري (ت ٥٢٥) في بشارة المصطفى ٢٣٤ بسند غير نقي، وأورده من العامة الدارقطني في الإفراد. (بحار الأنوار ٢٦٠/٣٧).

سند الحديث عن جابر بن عبد اللّه:

أورده شمس الدين ابن الجزري في (أسنى المطالب في مناقب الأسد الغالب (ص١١))، وذكره الحاكم في المستدرك ١٢٤/٣، والطريق إليه ضعيف بموازينهم فقد روي من طريق عمر بن موسى الوجيهي عن أبي الزبير (ثقة ت ١٢٨) عن جابر.

حديث حذيفة بن اليمان برواية التابعي الكبير المسيب بن عبد الرحمن:

ميزان الاعتدال ١١٥/٤: عبد الله بن عثمان البصري (ثقة ثبت)، عن المسيب بن عبد الرحمن ـ وكان ممن شهد القادسية ـ قال: أتيت حذيفة فأقبل يحدثنا بوقائع رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقال: لما تهيأ على يوم خيبر للحملة قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: (يا علي، إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم). (لسان الميزان ٣٩/٦، السيرة الحلبية للحلبي (ت١٠٤٤) ٧٣٦/٢).

وقد اعترف الذهبي أن (المسيب بن عبد الرحمن. تابعي كبير. شهد القادسية) إلا أنه نقل عن البخاري قوله (حديثه منكر)!! وعليه فإن البخاري إنما طعن في حديثه ولم يطعن في وثاقته، وقد تقرر عندهم أن (الكذب في التابعين قليل) فكيف بكبار التابعين!! (راجع: إرواء الغليل للألباني ٢٦١/٢).

سند الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام:

برواية حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ثقة عند السنة والشيعة ت ١٥٧) رواها عنه عنبسة بن بجاد العابد (وهو أيضاً ثقة عند الشيعة والسنة)، أوردها محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٥١٣/٢.

مرفوعة سلمة بن كهيل (تابعي ثقة من علماء الكوفة مات سنة ١٢١):

وقد روى الحديث عنه التابعي الثقة (جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي)، وقد رواه عن جعفر بن أبي المغيرة كل من (يعقوب بن عبد الله الأشعري، يحيى بن عبد الحميد، إسحاق بن بشر الكاهلي):

أولاً: رواية يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي (صدوق ت ١٧٢)

رواها الخطيب في تاريخ بغداد ٩٠/١١ قال: أخبرني الخوميني (هو عبد الباقي بن أحمد بن عبد الله، صدوق مات بعد سنة ٤٢٠)، حدثنا عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمود الفقيه - أبو محمد السماك - حدثنا أحمد بن خالد الحروري (محدث مشهور – اللباب لابن الأثير ٣٦٠/١)، حدثنا محمد بن حميد (هو الرازي وثقه أحمد وجماعة وضعفه آخرون)، حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد الله الأشعري (صدوق) -، عن جعفر (تابعي ثقة)، عن سلمة بن كهيل (تابعي ثقة) قال: مر علي بن أبي طالب على النبي ﷺ وعنده عائشة - فقال لها: (إذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب).

وللسند متابعة رواها محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٥١٣/٢.

ثانياً: رواية يحيى بن عبد الحميد الحماني (ثقة ت ٢٢٨)

أوردها محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه ٥١٤/٢.

رواية الإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨):

أوردها السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧) في مدينة المعاجز ٢٦٧/٢ نقلاً عن كتاب الكشكول للعلامة الحلي (ت ٧٢٦).

معارضة الحديث بأحاديث موضوعة

ومما يؤكد صحة الحديث أن أهل الضلال حاولوا معارضته بحديث موضوع مفاده أن أبا بكر هو (سيد كهول العرب)!!!، وهذا الحديث ساقط سنداً ومتناً، فقد روي من طرق قليلة لا يخلو جميعها من الضعف والطعن، ويكفي أن أحداً من الصحابة لم يرو هذا الحديث إلا عائشة – وهي متهمة بوضعه - والطريق إليها ضعيف، وتفصيل هذه الطرق كما يلي:

أولاً: طريق عائشة

أورده ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٩٢/٦٤ من طريق أيوب بن عتبة.

وهذا الحديث لا يصح لوجوه منها:

١. ضعف السند بأيوب بن عتبة فقد ضعفه كل علمائهم (راجع:تهذيب التهذيب ٣٥٧/١)

٢. ضعف السند بجهالة أو ضعف (عمرو بن محمد بن الحسن).

وأفضل الطرق لعائشة هو ما رواه ابن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٤) في مصنفه ٤٧٤/٧ قال: حدثنا خلف بن خليفة (صدوق مختلط ت١٨١) عن إسماعيل بن أبي خالد (ثقة مدلس ت١٤٦) عن عائشة وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠٥/٤٢ وابن حنبل في فضائل الصحابة /٣٩٤١. وهذا الحديث لا يصح أيضاً لأسباب منها إرسال الحديث من قبل إسماعيل بن أبي خالد وهو مدلس لم يسمع من عائشة (طبقات المدلسين ص٢٨)، ومرسلاته ليست بشيء (تهذيب التهذيب ٢٥٥/١) ومنها إن (خلف بن خليفة) اختلط في آخر عمره.

كما أن أبا بكر وقت قول الحديث (أي بعد الهجرة) لم يكن كهلاً بل كان شيخاً تجاوز الخمسين من عمره! ولم يقم أي شاهد من التاريخ أن أحداً لقب أبا بكر أو مدحه بسيد كهول العرب! وحتى أتباعه ومريدوه لم نسمع منهم هذا الوصف مما يؤكد اختلاق الحديث وكذبه، بينما وردت

عدة شواهد من كتب التاريخ أن علياً عليه السلام لقب بسيد العرب كما في تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين لشرف الإسلام بن سعيد المحسن بن كرامة (ت ٤٩٤)، إعلام الورى بأعلام الهدى لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨) ٣٠٧/١، الموفق الخوارزمي (ت٥٦٨) في المناقب ص٤٠، ابن عابدين (ت١٢٥٢) في حاشية رد المختار ٦٩٠/٣.

ثانياً: مرسلة قيس بن أبي حازم

أوردها ابن عساكر في موضعين في تاريخ دمشق من طريق (عبد الملك بن عبد ربه الطائي) وهو منكر الحديث. (تاريخ دمشق ١٨٢/٣٠ ٣٠٤/٤٢) وفي سنده قيس بن أبي حازم: وهو من النواصب الذين أعرض الكوفيون عن الرواية عنهم لأنه كان (يحمل على علي) (تهذيب التهذيب ٣٤٧/٨) فهو متهم بالترويج له وشهادته مجروحة عند كل عاقل.

دلالة حديث (علي سيد العرب)

إن دلالة الحديث واضحة في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على الصحابة خصوصاً من تقدمه من الخلفاء، وقد يرد السؤال أن الشيعة تعتقد أن علياً عليه السلام سيد الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الحديث يحصر السيادة بالعرب دون غيرهم، وجواب هذا الإشكال من وجوه:

١. إن إثبات الشيء لا ينفي ما سواه، فإثبات سيادة العرب لا ينفي السيادة عن غيرهم، كما في قولنا (سيد الوصيين) فإثبات سيادة الأمير على الأوصياء لا ينفي أفضليته على الأنبياء، فكما أن أمير المؤمنين عليه السلام من حيث كونه وصياً هو خير الأوصياء، فهو عليه السلام من حيث كونه عربياً هو سيد العرب.

٢. إن أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على الأنبياء ثابتة من أدلة قرآنية وروائية أخرى كما في كمال الدين ٢٥٩ عن النبي صلى الله عليه وآله: (خير الخلق بعدي وسيدهم أخي هذا، وهو إمام كل مسلم، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي) ■

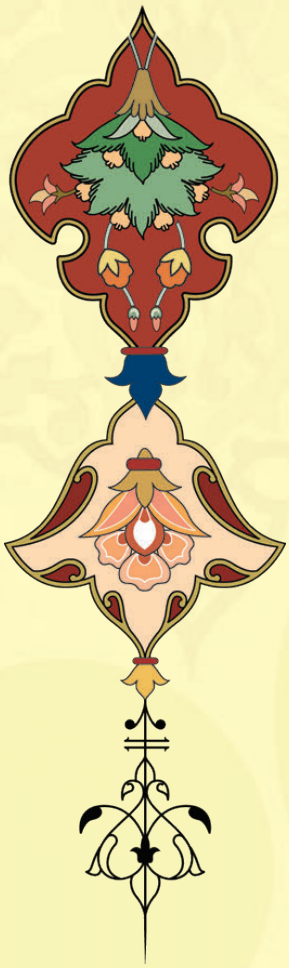

حكاية مستبصر..

صائب عبد الحميد ـ العراق

من مواليد العراق ـ ولد عام ١٩٥٦م بمدينة (عانة)، ترعرع في أجواء غذته العقيدة الإسلامية وفق مذهب أهل السنة والجماعة، واصل دراسته الأكاديمية حتى نال شهادة البكالوريوس في فرع الفيزياء، ثم توجه إلى مهمة التدريس في هذا الاختصاص وباشر عمله في إحدى المدارس الثانوية.

ثم شاءت الأقدار الإلهية أن توفر له الأجواء المناسبة لارتقاء مستواه الفكري، فانتهز الأستاذ هذه الأجواء وجعلها سبيلاً لنيل أرقى مراتب الوعي الديني فوسع آفاق رؤاه ، فكانت النتيجة أن أحاط علماً بقضايا قلبت له الموازين التي كان عليها فيما سبق، ثم لم تمض فترة من الزمن إلاّ وألفى نفسه مولعاً بمذهب أهل البيت عليهم السلام فاتخذ قراره النهائي ولم تأخذه في الله لومة لائم ثم أعلن انتماءه لمذهب عترة الرسول صلى الله عليه وآله ثم توجه بعد ذلك بعزيمة فاعله وجدارة فائقة إلى نشر علوم ومعارف أهل البيت عبر التأليف والتدوين، وكان كتابه الأول هو (منهج في الانتماء المذهبي) وهو الكتاب الذي ذكر فيه حول منطلق اندفاعه لاعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام، مع الحسين ـ مصباح الهدى ـ كانت البداية ومع الحسين ـ سفينة النجاة ـ كان الشروع.

بداية لم أقصدها أنا، وإنما هي التي قصدتني، فوفقني الله لحسن استقبالها، وأخذ بيدي إلى عتباتها ..

ذلك كان يوم ملك على مسامعي صوت شجي، ربما كان قد طرقها من قبل كثيراً فأغضت عنه، ومالت بطرفها وأسدلت دونه ستائرها، وأعصت عليه.حتى دعاني هذه المرة وأنا في خلوة، أو شبهها، فاهتزت له مشاعري ومنحته كل إحساسي وعواطفي، من حيث أدري ولا أدري.

فجذبني إليه.. تتبادلني أمواجه الهادرة.. وألسنة لهيبه المتطايرة.. حتى ذابت كبريائي بين يديه، وانصاع له عتوي عليه، فرحت معه، أعيش الأحداث، وأذوب فيها.. أسير مع الراحلين، وأحط إذا حطوا، وأتابع الخطى حتى النهاية..

تلك كانت قصة مقتل الإمام الحسين عليه السلام بصوت الشيخ عبد الزهراء الكعبي يرحمه الله، في العاشر من محرم الحرام من سنة ١٤٠٢ للهجرة.

فأصغيت عنده أيّما إصغاء لنداءات الإمام الحسين عليه السلام.. وترتعد جوارحي.. لبيك يا سيدي يابن رسول الله.. وتنطلق في ذهني أسئلة لا تكاد تنتهي، وكأنه نور كان محجوباً، فانبعث يشق الفضاء الرحيب دفعةً واحدة .. وتعود بي الأفكار إلى سنين خلت، وأنا أدرج على سلّم الدرس، لم أشذ فيها، عن معلّمي، فقلت: ليتني سمعت إذ ذاك ما يروي ظمئي.. ثم أنت يا حلق الوعظ، ويا خطب الجمع ويا بيوتات الدين، أين أنت من هذا البحر اللامتناهي؟! وأين أنتِ أيتها الدنيا؟!، وعلى أي فلك تجري أيها التاريخ؟!، ألا تخشى أن يحاكمك الأحرار يوماً؟، عتاب لاذع، وأسئلة لا تنتهي، والناس منها على طرق شتى.. عدت مع هذه الواقعة إلى الوراء.. فإذا الناس من حينها كحالهم الآن، فهم بين من حمل الحسين عليه السلام مبدأً، وتمسك به إماماً وأسوة، ودليلاً إلى طريق الفلاح، فوضع نفسه وبنيه دون أن يمس الحسين عليه السلام، وبين من حمل رأس الحسين هدية إلى يزيد!!، وبين هذا وذاك منازل شتى في القرب والبعد من معالم الحسين عليه السلام.. وأشياء أخرى تطول، فقد استضاءت الدنيا كلها من حولي، وبدت لي شاخصة معالم الطريق.. فرأيت الحكمة في أن أسلك الطريق من أدلة، وأبتدئ المسيرة بالخطوة الأولى لتتلوها خطى ثابتة على يقين وبصيرة.

مؤلفاته: (منهج في الانتماء المذهبي)، (ابن تيمية، حياته، عقائده)، (تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي)، (حوار في العمق من أجل التعريف الحقيقي)، (ابن تيمية في صورته الحقيقية)، (الزيارة والتوسل) (تاريخ السنة النبوية)، ثلاثون عاماً بعد الرسول.

إضافة إلى هذه المؤلفات فقد كتب مقالات مهمة في عدد من الصحف في مختلف الأمور الفكرية والعقائدية، والتاريخية، وشارك مشاركة فعالة في عدد من الندوات الإسلامية في كثير من بلدان العالم، بل أصبح من الأساتذة المشار إليهم بالبنان، ومن الدعاة لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

بتصرف عن:
كتاب (المتحولون) ص:٣٨٥

دفين شوشى..

القاسم بن العباس بن موسى الكاظم عليه السلام

استطلاع: حيدر الجد
تصوير: أمير رحيم

مزار متواضع بعمارته البسيطة، وفنائه المعشوشب الأخضر، الذي يضم في أعماقه آثاراً لقرية كوفية كانت تنبض بالحياة اسمها (شوشى)..

مزار وإن قلّت أعداد زائرية إلا أن القرويين حوله أحاطوه بالحب والتعظيم حيث يرقد فيه سيد علوي جدّه باب الحوائج الذي ملأ الدنيا بكراماته ومعاجزه فبين الجد والحفيد ثمة صفات متشابهة..

إنه مرقد القاسم بن العباس بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

ينابيع توالت الدراسات التاريخية يوماً بعد يوم مُجدّةً في إظهار الحقائق التي كانت رهينة النص حبيسة المفهوم السائد في قراءة التاريخ حادثة جامدة مجردة عن الحياة، تمر عليها العيون وتلمس أحرفها الأنامل فلا تحرك ساكناً ولا تجلب جديداً ولا تقدح في الأذهان أسئلة تدور حول أجوبة موجودة بين ثناياها.

ولما كانت سير العلويين مندرجة تحت عنوان هذه الدراسات فقد نالت ما نالته وتأثرت بنفس العوامل التي أثّرت بعموم هذه الدراسات، منها سيرة السيد القاسم بن العباس، الذي تشابكت مع سيرة عمه القاسم بن الإمام موسى بن جعفر في حياته وبعد مماته. سنحاول في تحقيقنا هذا فك هذا التشابك ومحاولة الوصول إلى معلومة جديدة تفتح أفقاً جديداً للتواصل مع هذا السيد الجليل من خلال زيارة الموالين الذين ما انفكوا يرتادون بقاع العترة الطاهرة أينما حلت، راغبين في صلة رسول اللهﷺ في ذريته الأحياء منهم والأموات فقد أصبحت مراقدهم مأوى للأفئدة ومحلاً لنزول البركات.

القاسم في دائرة الضوء

هو القاسم بن العباس بن موسى بن جعفر عليهم السلام. أما والده العباس فقد عده الشيخ الطوسي من أصحاب أبيه الكاظم عليه السلام وقال عنه: ثقة[1]، كما ذكره الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته حيث قال: (...وأوصيت إليه - أي الإمام الرضا - بصدقاتي وأموالي وصبياني الذين خلفت وولدي وإلى إبراهيم والعباس و إسماعيل وأحمد وأم أحمد...)[2] إلا أنه نازع الإمام الرضا عليه السلام بعد وفاة والده في الوصية وقام بفضها ولم يستجب لطلب أخيه الرضا عليه السلام بعدم فتحها[3]، وربما تاب بعد تلك الحادثة حيث يذكر الشيخ المفيد: (أن لكل واحد من أولاد الكاظم عليه السلام فضلاً ومنقبةً)[4]، وقد بين السيد الخوئي كلمة الفصل بقوله: إن العباس هذا وإن لم تثبت وثاقته إلا أنه لا يمكن الجزم بانحرافه والله العالم بحقائق الأمور[5]. ولعل أبرز دور للعباس بن موسى بن جعفر عليهم السلام ذكره التاريخ ولايته الكوفة سنة ٢٠٢هـ، حيث أمره داعية العباسيين حُميد الطوسي أن

يلبس الخضرة وأن يدعو للمأمون بالكوفة ومن بعده لأخيه علي بن موسى الرضا ففعل العباس ذلك فاستجاب له بعض الكوفيين والبعض قالوا لو دعوت لأخيك لاستجبنا لك، وأما المأمون فلا حاجة لنا فيه فبقي العباس في إمرته مدة ثم وقعت حوادث خلالها، ثم أحلوا الفضل بن محمد الكندي محله[٦].

أما عن قبره فقيل هو أحد القبرين اللذين كانا شاخصين في الصحن الكاظمي المطهر، كما نص على ذلك الشيخ المجلسي[٧].

أما والدة القاسم فهي أم ولد تسمى (علم) أو (نُدام) وهي أم ولد[٨]، وللقاسم من الأخوة من أبيه: أحمد ومحمد وموسى[٩] وفي بعض المصادر أضافت إليهم عبد الله[١٠]، والظاهر أن عقب العباس بن الكاظم عليه السلام انحصر في القاسم كما أكد ذلك ابن عنبة في عمدة الطالب[١١].

يمكن تخمين المدة التي عاش فيها القاسم على أنها تقع ضمن النصف الأول من القرن الثالث. أعقب القاسم بن العباس من أولاده أحمد ومحمد والحسين وموسى وأسماء المسنة التي بلغت من العمر ١٢٠ سنة[١٢].

أما عن نزوله الكوفة ووجود قبره في هذه المنطقة فلدينا عدة نصوص تاريخية نحاول استعراضها باختصار وقبل ذلك نبيّن: من خلال ما تقدم من ولاية أبيه العباس على الكوفة، من المحتمل أن يكون القاسم قد بقي في الكوفة وهو أعرف بأهلها إذ إنها تعد علوية، فاختار السكن فيها إلى أن توفي، كما أن النص السابق لم يذكر أين عقد حُميد الطوسي الأمارة للعباس، هل كان حينها في المدينة فاتصل به وعقد له أم كان العباس مع أخيه الرضا في خراسان فكلفه حُميد بأمر الكوفة، أم كان العباس أصلاً ساكناً بالكوفة وتم تسليمه أمرها).

أما النّصوص فإن أغلبها يُبيّنُ علاقة القاسم بمنطقة تدعى شوشى:

شوشى أو شوشة (موجودة في المصادر بشكلين): قرية بأرض بابل أسفل من حلة بني مزيد، بها قبر القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وبالقرب منها ذو الكفل وهو حزقيال في (بر ملاحة)[١٣].

والقبر الذي بشوشى هو قبر القاسم بن العباس بن موسى الكاظم[١٤].

القاسم بن الكاظم قبره بشوشى في سواد الكوفة، والقبر مشهور وبالفضل مذكور[١٥].

القاسم بن العباس بن الكاظم، قبره بشوشى في سواد الكوفة، بقرب مقام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، قريب من قرية ذي الكفل، وهو الذي تغرب وزرع البقل وأرسل ابنته إلى المدينة، وهو صاحب القصة التي ينسبها الخطباء على المنابر اشتباهاً إلى القاسم بن الكاظم ويزيدون عليها عبارات من عند أنفسهم[١٦].

القاسم بن العباس بن موسى الكاظم، كان يخفي نسبه خوفاً من بني العباس ويعمل لإمرار معاشه ولم يعرفه أحد وقد رزق بنتاً، وكان له صديق قد عزم على السفر إلى الحج، فلما جاء لوداع القاسم قال له القاسم بن العباس: لي إليك حاجة؟ وهي أن تأخذ ابنتي هذه إلى المدينة المنورة فإذا وصلت هناك فاسأل عن بيت فلان وسلمهم البنت، ويأخذ الرجل البنت إلى المدينة ثم يسمع خبر القاسم في المدينة

وعن ذلك يعرف أن القاسم هو حفيد الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهكذا يقضي القاسم حياته متنكراً حتى يوم وفاته[١٧].

حدثنا محمد بن بن القاسم بن العباس بن موسى العلوي بقصر ابن هبيرة[١٨].

بالكوفة أحمد بن القاسم بن العباس بن موسى الكاظم[١٩].

من خلال ما تبين من نصوص يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

إن الاشتراك بالاسم بين القاسم ابن العباس وعمه القاسم ابن الإمام موسى الكاظم ولّد الكثير من الاشتباه عند المؤرّخين والجغرافيين، خصوصاً وقد دُفنا في منطقة متقاربة نسبياً، إذ تبلغ المسافة بين (شوشى) موضع قبر القاسم و(سورا) موضع قبر القاسم (العم) حوالي (٥٥كم) تقريباً وهي مسافة مباشرة بين المكانين.

الرواية التي تفيد بكونه تغرّب وزرع البقل، وأنه صاحب القصة المنسوبة للقاسم العم الذي تغرب وأصبح يسقي الماء لضيوف شيخ الحي الذي نزل فيه، لا يمكن التعويل عليها للأسباب التالية:

أ- إن أولاده معروفون بالكوفة وفي منطقة قصر ابن هبيرة وهي من توابع الكوفة تبعد عنها ٢٠ فرسخاً وهي بالقرب من قضاء الهاشمية، التابع اليوم إلى محافظة بابل، كما صرح بذلك ابن طباطبا وغيره وهذا يعني أنه لم يكن مختفياً ولم يكن له بنتاً واحدة فقط، بل كان له عقب كما ذكرنا سابقاً.

ب- انفرد بذكر هذه القصة السيد حسون البراقي في كتابه تاريخ الكوفة، كما أثبتها بخطه في هامش كتاب تحفة الأزهار للسيد ضامن بن شدقم عن بحر الأنساب، ولم يذكر القصة غير السيد

البراقي.

جـ- القصة فيها تباين في تركيب أحداثها، فالقاسم بن الكاظم كان يسقي الماء، بينما القاسم بن العباس كان يزرع البقل، على أننا لا ننفي ما عاناه العلويون إبان الحكم العباسي فقد شُرّدوا ونفوا عن وطنهم إلا أن القصص المنسوبة للقاسمين ليست مدعمة بمصادر يمكن الوثوق بها، بل هي مرويات شفاهية، وإن صحت قصة القاسم بن العباس فإن ابنته أسماء المسنة هي التي أرسلها إلى المدينة، والله أعلم.

ظهور القبر ومراحل إعماره

يبدو أن القبر كان ظاهراً معروفاً والدليل على ذلك قول ابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨هـ المتقدم ذكره، وقبره معروف وبالفضل مذكور، ولكن امتدت إليه يد الزمن فتركته أثراً بعد عين.

أول من تناول المرقد بالبحث والتنقيب والمشاهدة الشيخ محمد حرز الدين، فقد زار المرقد وسجل ملاحظاته عليه حيث قال: (يقع القبر في مقاطعة النجمية شرقي مسجد النخيلة وقبر ذي الكفل بحدود فرسخ، وكانت عليه قبة قديمة مشرفة على السقوط والخراب.

ويشاهد حول القبر أطلال وأسس بناء وحجارة وخزف أشبه شيء بالبلد الدارس القديم، كما يشاهد آثار تخطيط دور وحوانيت مقسمة قرب القبر وبقية الحجارة كانت في الأسس على وجه الأرض يراها الناظر إليها ووقفنا عليه سنة ١٣١٥هـ، وكتبنا كلما رأيناه بلا واسطة في النقل، وكان موضع هذا القبر على يمين الذاهب في الجادة العامة من الكفل إلى بلد الحلة المزيدية شرقاً، وإن نفس المرقد يقع على الضفة الغربية لنهر الشاه المكرية

المعروفة عند قبائل خفاجة بـ(مجرية علي) وهي أحد مياه النجف الأشرف، وكان حول القبر نخيلات في أرض موات غير عامرة بالزراعة لارتفاعها، ولم تكن بقربه قرية مسكونة، وكانت القرى بعيدة عنه في الأرض العامرة)[٢٠].

كما وقف على القبر حفيد الشيخ حرز الدين الذي حقق كتاب مراقد المعارف، ونقل مشاهداته قائلاً: (وقفت عليه بتاريخ ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٨٦هـ- ٢٤ آذار سنة ١٩٦٧م في مقاطعة النجمية في أرض الطابو، كان مرقده مهدوماً وحجارته قديمة وأنقاضه مجتمعة حوله وقد بنى عليه سادنه بيتاً من البواري والخشب ما يسمى عندهم (جرداغ) ولم يبق من آثاره إلا دكة القبر القديمة في وسط البيت قائمة بحالتها الأولى، عليها بردة خضراء فوقها عدد من القرآن الكريم وكتب الأدعية والزيارات.

وحدّث من بصحبتنا الخبير الوجيه ناجي الحاج ذرب من أهل مدينة الكفل ومن سدنة قبر ذي الكفل أنه سيشيد القبر قريباً وقد جمع له سادنه بعض المواد الإنشائية ورأيت الطابوق الجديد جانب القبر،وعند وقوفي عليه لم أشاهد آثار التخطيط التي وصفها جدي المؤلف(قدس سره) وشاهدت الحجارة القديمة المبعثرة هنا وهناك في الأرض بين النخيلات كثيرة ويجوز أن يكون قد عفا آثار التخطيط مرور سبعين عاماً على أرض زراعية)[٢١].

زيارتنا للمرقد

في يوم السبت المصادف ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٣٤ هـ، توجهنا نحو المرقد، أخذنا طريق (النجف - الحلة) ثم انعطفنا يميناً في الطريق المؤدي لمقام زيد بن علي عليه السلام، وقبل أن نصل المقام، انحرفنا نحو طريق فرعي يربط المنطقة بطريق (النجف- الحلة)، ثم سرنا في طريق ترابي وعر مسافة ٣كم تقريباً، حتى وصلنا إلى المرقد الذي تلوح قبته البيضاء عن بُعد.

العمارة الحالية للمرقد

يبدو أن ما أخبرنا به الشيخ محمد حسين حرز الدين قد حدث، فقد أزيلت تلك العمارة البسيطة المكونة من الخشب وأنشأ الحاج ناجي الحاج ذرب العمارة الجديدة التي ما زالت ماثلة للعيان منذ نهاية الستينيات لحد الآن، ولم تمتد له يد الإعمار فتغير من عمارته أو تضيف له صحناً وإن لم يكن هناك توافد من الزائرين له عدا سكان المنطقة وإن كان باباً للحوائج كما أخبرونا بحصول حالات شفاء عديدة بفضل التبرك بمرقده واستجابة الدعاء عنده.

يقع المرقد ضمن منطقة زراعية، وتبدو الأرض التي أقيم عليها المرقد مرتفعة بعض الشيء، كما تبدو هناك تلال بسيطة والأغلب أنها آثار مندرسة مغيبة تحت هذه التلال، غطتها الأتربة بفعل الرياح وعوامل الترسيب، وهي الآثار التي أشار لها الشيخ محمد حرز الدين عندما زار المنطقة قبل ١١٥ سنة ولو قُدّر لفرق التنقيب أن تعمل في هذه المنطقة لكشفت عن تراث مدفون ولزودتنا بمعلومات تاريخية جديدة عن قرية من قرى الكوفة القديمة.

يمكن الدخول إلى المرقد عن طريق باب حديدي مصبوغ باللون الأخضر، يقع في واجهة المزار كما يقع عن يمين الباب قطعة تعريفية تصرّح باسم صاحب المرقد،

ويقع عن يسار الباب شباك، المرقد عبارة عن مساحة مربعة (١٤م×١٤م)، ويتكون من رواق يحيط بالحرم الداخلي، ويطل عليه بواسطة أربع فتحات رئيسة تتوسط كل جهة من الجهات الأربعة، تبلغ مساحة الحرم الداخلي ٣٦ متر مربع.

يتوسط القبر الحرم الداخلي ويعلوه صندوق حديدي (٢م×٢م)، كما تعلو المرقد قبة ضخمة قديمة إلا أن حالتها الإنشائية جيدة، يبلغ ارتفاعها حوالي ٦م وقطرها ٦م أيضاً.

هكذا حال العلويين. ورحم الله دعبلاً الخزاعي رحمه الله حين قال:

مشرّدون نفوا عن عقر دارهم
كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفرُ ■

(١) الطوسي، رجال، ص٣٣٩.
(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٤٢/٢.
(٣) المازندراني، شرح أصول الكافي، ١٩٤/٦.
(٤) الأمين، أعيان الشيعة، ١٢٨/٧.
(٥) الخوئي، معجم رجال الحديث، ٢٦٧/١٠.
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨/١٤.
(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٣١٣/٤٨.
(٨) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص٧٥/١، البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٤٣، الزرباطي، الجريدة في انساب العلويين، ١٤٠/١.
(٩) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٧٥/١.
(١٠) النوري، مستدرك الوسائل، ٢٢٢/١٠.
(١١) عمدة الطالب، ص٨٦.
(١٢) العلوي، المجدي في أنساب الطالبيين، ص١١٦.
(١٣) الحموي، معجم البلدان، ٣٧٢/٣.
(١٤) بحر العلوم، رجال، ١٩٢/٣.
(١٥) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٣٠.
(١٦) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٩٦.
(١٧) الزرباطي، أولاد الإمام الباقر، ص١٩٨.
(١٨) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص٧٨.
(١٩) ابن طباطبا، متنقلة الطالبية، ص٢٧١.
(٢٠) مراقد المعارف، ١٣٢/٢.
(٢١) المصدر السابق.

مع الفقيه..

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: هناك بعض الدروس في الحسابات المالية وتدقيقها ومن جملة التدريس يتطرق المدرس إلى بعض الدروس المتعلقة بالقرض الربوي والمحاسبة عليها، فهل هذا التدريس يكون محرماً عليه ولا يجوز أخذ الأجرة عليه؟

ج: لا يحرم التدريس المذكور ولا أخذ الأجرة عليه.

س: التلفزيون هل يعد في زماننا هذا أداة لهو أو لا يعد؟

ج: الظاهر أنه من الآلات الصالحة للوجهين فيجوز بيعه.

س: إذا دخلت مطعماً وكنت قد دفعت ثمن الطعام الذي طلبته وإذا بالمطعم يوزع نوعاً من السحبة تحمل أرقاماً من فاز بها حصل على مكافأة نقدية أو ما يصطلح عليه بالجائزة، وهذه السحبة أقامها المطعم من أجل الدعاية لمطعمه. فما هو حكم حلية أو حرمة هذه السحبة؟

ج: تحل هذه السحبة ولا إشكال فيها.

س: شخص يعمل في دائرة حكومية هل يجوز له اشتراط مبلغ من المال لإنجاز معاملة على صاحبها، وهل يختلف الحكم إذا كان المبلغ مضراً بصاحب المعاملة بحسب حاله؟ وهل يجوز له أخذ المال دون أن يشترط المكافأة مقابل إنجاز المعاملة وبدون المكافأة لا ينجزها غير أن تحديد مقدارها تركه لصاحب المعاملة بحسب حاله؟

ج: يشكل شرعاً أخذ المال في مقابل إنجاز المعاملة.

س: يوجد في منطقتنا جماعة يبيعون نوعاً من الطيور ويسمى (دجاج الماء) ويصيدونه عن طريق إعطائه مادة سمية هي الخردل وعند الاستعمال بدخول المادة المذكورة إلى جسم الحيوان المذكور فإنه يموت ويأتي هؤلاء الصيادون فيذبحونه بعد الموت ويبيعونه للناس.

ما رأي الشرع في بيع الحيوان المذكور وشرائه.. وبعض الناس مع علمهم بأن الحيوان قد صيد بالطريقة المذكورة ويشترونها على اعتبار أنهم يشترون من سوق المسلمين ويعتبرون الإثم على البائع هل يجوز لهم ذلك؟

ج: مع العلم بأن الحيوان قد مات قبل ذبحه يحرم بيعه ويحرم شراؤه ويحرم أكله، وهو نجس وينجس كل ما لاقاه برطوبة ولا يحل له أخذه من المسلم ولا من سوق المسلمين وأما إعطاء الخردل للحيوان فإذا كان مضراً بأكله فهو حرام حتى لو ذبح وهو حي.

س: يتخذ البعض هواية تربية الحمام وتدريبه على الطيران في أسراب ونحو ذلك وبيعه وشراءه، ويسمون بالعرف العامي (المطيرجية)، فهل يجوز هذا العمل شرعاً؟

ج: نعم يجوز هذا العمل إذا لم يستلزم محرماً آخر كإيذاء الجيران والاطلاع على عوراتهم وسرقة الطيور من الآخرين ونحو ذلك مما يتعارف عند هؤلاء الهواة.

س: تبث عندنا قنوات تلفزيونية عربية وتعرض برامج مسابقات فيوجهون عدة أسئلة ومن يريد الإجابة عليه الاتصال إلى إذاعة تلك المحطة وعندما تكون الأجوبة الصحيحة كثيرة يجرون القرعة وبعدها ينال الفائز جائزة قيمتها بين ألف إلى عشرة آلاف دولار، ولا يخسر المتسابق سوى أجور المكالمة الهاتفية بحدود أربعة دولارات، فهل تجوز لنا المشاركة بالطريقة المذكورة؟ ومال الجائزة حلال أم حرام؟ وما حكمه الشرعي من جهة الحقوق الشرعية وغيرها؟

ج: لا بأس بالاشتراك بالمسابقة المذكورة والمال المأخوذ بسببها حلال. ولا يجب الخمس فيه إلا أن يفضل عن المؤنة عند حلول رأس السنة، كما هو الحال في سائر أرباح السنة وفوائدها.

س: انتشرت في الأسواق بعض الألعاب الإلكترونية من خلال جهاز الكمبيوتر ومن خلال جهاز يسمى (الأتاري)، فما هو الحكم الشرعي للّعب بتلك الألعاب؟

ج: لا بأس بهذه اللعبة إذا لم تستعمل للعبة قمارية كالشطرنج. نعم لا يجوز أخذ الرهن عليها.

س: نرجو تعريف آلات القمار تعريفاً شاملاً؟

ج: آلات القمار تعرف من تحديد لعبة القمار نفسها. وهي كل لعبة ابتنت على المغالبة واخترعت لكسب المال، لا لغرض آخر كحل المسائل العلمية المقصود منه تقوية المعرفة، ورفع الأثقال المقصود منه تقوية العضلات.

هذا بغض النظر عن اللعبات القديمة كالشطرنج والنرد، فإنها قمار على كل حال من دون نظر إلى الغرض من اختراعها.

س: ما هو القمار وهل (الدوملة) حرام وما حكم اللعب بها للتسلية لا للمراهنات؟

ج: القمار هو اللعبة التي تبتني على المغالبة واخترعت لكسب المال، والدوملة من القمار ويحرم اللعب بها من دون رهن ومع الرهن.

س: ما هو حكم التأمين على الحياة؟
س: هل يجوز شراء بطاقات اليانصيب الوطني؟
س: هل يجوز شراء بطاقات اليانصيب إذا كان المشروع خيرياً؟
س: هل يجوز شراء سندات الخزينة من المصرف الوطني الحكومي؟
س: إذا كلف التاجر بنكاً بشراء سندات خزينة من المصرف الوطني فيشتري البنك بالعملة الوطنية من المصرف الوطني، ويأخذ من التاجر بعملة أخرى كالدولار مثلاً، فالبنك يشتري السندات ثم يبيعها للتاجر بالدولار، فما هو رأيكم؟

ج: يشترك الجواب في هذه الأسئلة الخمسة في أنه يجوز التعامل بالأمور المذكورة فيها إذا كان الطرف دولة لا تدعي لنفسها الولاية الشرعية أو كان قبض المال من طريق بنك تابع للدولة المذكورة. لكن ليس ذلك لصحة المعاملات المذكورة، بل لجواز أخذ المال وإجراء حكم مجهول المالك عليه إن كان ماراً بأسواق المسلمين وجرت عليه أيديهم. وإذا لم يكن ماراً بأسواق المسلمين ولا جرت عليه أيديهم جاز قبضه على أنه مباح أصلي فيتملك. وأما صحة المعاملات المذكورة ذاتاً فلا نرى البحث عنها جواباً عن مثل هذه الأسئلة المجملة، لعدم الإحاطة بخصوصيات المعاملات المذكورة المقصودة بالسؤال والرجوع إلى نوع هذه المعاملات حسب القوانين المرعية عندنا قد لا ينفع لاحتمال اختلاف القوانين باختلاف الدول، واستيعاب الفروض المحتملة قد لا يتيسر، ولو تيسر قد يوجب هذا المطلوب في خضم التفصيلات والفروض المتكثرة.

فالأنسب توجيه السؤال مرفقاً بقانون المعاملة في البلد المسؤول عنه بتمام وضعه أو مرفقاً بفرض معين يحدده السائل، ليكون الجواب مجمع من دون أن يوهم العموم لغيره من الفروض المفروضة أو المعمول بها في بقية البلاد. مما يشترك معه في الاسم.

كما أن الأمل إيضاح أن سندات الخزينة هل هي وثائق حاكية عن المال المدفوع، نظير الصكوك، أو هي بنفسها ذات مالية نظير الطوابع البريدية. فإنه قد يكون لذلك أهم الأثر في الجواب ■

فاطمة الزهراء عليها السلام

في صحيح البخاري

السيد أحمد نوري الحكيم •

ينابيع

البخاري وصحيحه:

محمد بن إسماعيل البخاري شخصية لامعة في سماء المسلمين الذين يشهد لهم التاريخ بالذكاء والخبرة، في تهذيب الأحاديث النبوية الشريفة. وصحيحه أكبر شاهد عند المسلمين الذين اتخذوه بعد كتاب الله تعالى دستوراً في حياتهم، فقد قال عنه أبو عبد الله الحاكم: (محمد بن إسماعيل البخاري إمام أهل الحديث)[1] وقال عنه: محمد بن إسحاق بن خزيمة: (ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأحفظ له من محمد بن إسماعيل)[2].

وقال أبو عيسى الترمذي: لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتأريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل[3].

هذا ما قاله مريدو البخاري فيه، وأما ما قالوه في صحيحه، بعد أن اعتبروه من أفضل الكتب التي نالت شهرة عظيمة في بلاد الإسلام وذلك لما امتاز به من جمع الأحاديث النبوية وتبويبها وتهذيبها حسب اعتقاد مؤلفه كي لا يذهب المسلمون يميناً أو شمالاً، ولكي يكون لهم مرجعاً يرجعون إليه، فكان لصحيحه الحظ الأوفر في المرجعية إليه.

فقد قال النووي: روينا من جهات عن البخاري (رحمه الله تعالى) قال: صنفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عزّ وجل[4].

وقال النووي: قال البخاري: ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صحّ فتركت من الصحاح لحال الطول[5].

وقال النووي: روينا عن عبد القدّوس بن همّام: سمعت عنده من المشايخ يقولون: حول البخاري تراجم جامعة بين قبر النبي صلى الله عليه وآله ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين[6].

السيدة فاطمة الزهراء والبخاري:

روى البخاري في صحيحه في حق سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أحاديث عديدة، أهمها:

بسند عن المسور بن مخرمة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني ...)[٧].

فذكرها البخاري في باب مناقب فاطمة، وفي مناقب رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث الشريف.

إن النبي صلى الله عليه وآله بيّن في هذا الحديث أمرين ينبغي الاهتمام بهما ألا هما:

أولاً: إن السيدة الزهراء عليها السلام هي بضعةٌ من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهو جزءٌ لا يتجزّأ من النبوة.

ثانياً: غضبها هو غضبٌ للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ولأجل ذلك لابد من بيان أمور تتعلق بالحديث الشريف قبل معرفة هذين الأمرين.

١- إن النبي صلى الله عليه وآله اختاره رب العالمين من بين سائر البشر ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا. قال تعالى (...**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**).

٢- الاختيار الإلهي: حتى لا يدخل الشك أو الريب إلى أحد في اختيار تلك الشخصية - سواء كان من ناحية السلوك أم الوجود أم الأفعال أم غيرها.

٣- إن كل ما ينطقه أو يفعله النبي

الأكرمﷺ إنما هو بأمر من السماء ووفق ما تحتاج إليه البشرية.

٤- إن ما ذكره النبي الأكرمﷺ ليس لأجل عاطفة أو دافع خاص كأن يمدح شخصاً أو يذمه، وإنما يقول ما يستحقه الشخص من الثناء أو الذم.

٥- إن ثمة من يطعن في شخصية الرسول الأعظمﷺ، ظنًا منه أن هناك دوافع وأهواء تدفعه في سبيل إرضاء طرفٍ على طرف أو إنسان على آخر.

مع الحديث الشريف:

ورد في الحديث الشريف قولهﷺ: (فاطمة بضعة مني...) فما المقصود من البضعة؟

ذكر الجوهري في الصحاح: أن البضعة هي القطعة من اللحم، هذا بحسب أهل اللغة لكن هل يا ترى ما قاله النبي الأكرمﷺ أن السيدة الزهراء هي قطعة منه أم إن هنالك شيئاً آخر؟

يبدو أن من السذاجة بمكان أن يحدّث النبي الأكرمﷺ أصحابه ويشاع بين المسلمين أن السيدة الزهراء هي قطعة منه، وإنما قد يكون قد رمى شيئاً آخر ألا هو: أن هذا الجزء لا يتجزأ منه بحيث ينبغي صيانته من الآلام والمحن والكروب ولعل ذلك ما كان ينبه عليه لأن كل من ينتمي إليه ينبغي أن لا يعرض عنه أو يتجاهل حقه. لأنه المبعوث رحمة للعالمين بحيث إن وجوده هو الأمان لأهل الأرض. قال تعالى (**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**) كما أن وجود الرسول الأعظمﷺ من الرحمة الموصولة والسبب بين السماء والأرض فإن مات أو قتلﷺ فإن هناك جزءًا باقيًا ينبغي الحفاظ عليه والرجوع إليه والاهتمام به من ناحية التعاليم السماوية التي تتعلمها الأمة الإسلامية منها.

والأمر الآخر هو أن ذلك الجزء لا يتجزّأ من الوحي الإلهي. ولذا كان الرسول الأعظمﷺ إذا همّ بالسفر فكان آخر بيت يودعه بيت الزهراءعليها السلام وأول بيت يدخله في المدينة بيت الزهراءعليها السلام وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأهمية التي كان يوليهاﷺ لهذه البضعة الطاهرة التي نزل في حقّها وحقّ زوجها وولدها (...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

فهي التي أبت أن يدنو إليها الريب والرجس الشيطان فكانت أعظم امرأةٍ عرفها التاريخ الإسلامي من فجر الإسلام إلى آخر الدهور.

غضب فاطمةعليها السلام:

ما المقصود من الغضب؟ قال الجوهري في صحاحه عن ابن السكيت: الغضب: الأحمر الشديد الحمرة ويقال: أحمر غضب[٨].

والظاهر من هذا الكلام هو آثار الغضب التي تظهر على محيّا المرء حينما تأبى نفسه السكون بسبب ما آثاره من الحفيظة.

لكن ما المقصود من الحديث الشريف (فمن أغضبها أغضبني) فهل المقصود في كل شيء يغضب السيدة فاطمةعليها السلام يغضب رسول اللهﷺ أم في الأحكام الإلهية؟

إن الحديث الشريف لم يشر إلى تخصيص شيء بحيث إذا غضبت فقط عليه أوجب غضبها غضب رسول الله الأعظمﷺ. وذلك لأن كل ما يوجب

الغضب من السيدة الزهراءعليها السلام جاء نتيجة مؤثرات من قِبل الآخرين أوجب عليهم العقوبة، ولذا ينبغي تجنب كل ما يغضب هذه المرأة العظيمة التي هي امتداد للنبوة ورحمة للعالمين.

غضب السماء:

إن مما لا ينبغي تجاهله هو أن غضب الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله هو غضب السماء وهذا واضح من الآية الكريمة. قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**).

ولذا فإن الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله حينما منح السيدة فاطمةعليها السلام هذه الخصوصية لم تكن من دواعي المحبة فقط أو داعي الأبوة أو غيرها، وإنما لما استحقته من مكانة سامية بحيث كان غضبها هو غضب السماء.

غضب الرسولصلى الله عليه وآله حقاً:

فقد غضب رسول اللهصلى الله عليه وآله حينما كان يأتي المسلمون إليه ويحاولون أن يجابهوه بأقسى الألفاظ والأفعال التي تنم عن الجهل منهم.

وبسندٍ عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن أشياء كرهها فلما أكثروا عليه المسألة غضب. وقال: سلوني. فقام رجل فقال: يا رسول الله مَنْ أبي؟ قال: أبوك حذافة، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله مَنْ أبي؟ فقالصلى الله عليه وآله: أبوك سالم مولى شيبة. فلما رأى عمر ما بوجه رسول اللهصلى الله عليه وآله من الغضب قال: إنا نتوب إلى الله عزّ وجل[٩].

وبسندٍ عن أبي مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول اللهصلى الله عليه وآله ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذٍ، ثم قال: (يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمّ الناس فليتجوّز، فإنه خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة ...)[١٠].

إن هذين الحديثين يدلان على خوفهصلى الله عليه وآله ومحبته للمسلمين بحيث لم يرغب أن تتخذ تلك الأعمال مساراً لمشقة المسلمين، وهذا ما نبه عليه القرآن الكريم لما قال تعالى: (...**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**...).

غضب السيدة فاطمةعليها السلام:

وقد غضبت السيدة فاطمةعليها السلام حينما لم يهتم بقضيتها المسلمون حتى استشهدت. فقد قالت عائشة: (إن فاطمةعليها السلام بنت النبيصلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللهصلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: (لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمدصلى الله عليه وآله في هذا المال) وإني

لا أغير شيئاً من صدقة رسول اللهﷺ. عن حالها التي كان عليها في عهد رسول اللهﷺ ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول اللهﷺ فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتى توفيت...)[11].

إن حديث السيدة عائشة أن السيدة فاطمةعليها السلام قد هجرت أبا بكر فلم تكلّمه وغضبت عليه نتيجة لما حصل من موقف منه اتجاهها يدل بصراحة أن ذلك الموقف لم يكن يوافق مع موقف النبيﷺ لما قال: (فاطمة بضعة مني، يغضبني ما أغضبها).

نظـــرة:

إن ما قاله النبيﷺ في حق سيدة نساء العالمين يعتبر من الأمور التي لا تقبل النقاش فيها أو التراجع عنها. كما أن ذلك يعدُّ من الذين يؤذون المؤمنات والسيدة فاطمةعليها السلام هي سيدة نساء المؤمنين الذين قال عنهم القرآن الكريم: **(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)**.

ولأجل ذلك ينبغي التأمل في كل موقف وقفت فيه سيدة نساء العالمينعليها السلام وسلب حقها!!

كما ينبغي التنبه إلى ما يوحيه حديث النبيﷺ من دلالات لا يمكن إنكارها لأن ذلك يوجب الطعن بالنبوة وما أمرته السماء من أوامر يجب على المسلين امتثالها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين ■

(١) تهذيب سير أعلام النبلاء - ج١- ص٤٨٠.
(٢) تهذيب سير أعلام النبلاء - ج١- ص٤٨٠ .
(٣) تهذيب سير أعلام النبلاء - ج١- ص٤٨٠ .
(٤) مقدمة صحيح البخاري - بقلم محمود حسن نصار - ص٩.
(٥) مقدمة صحيح البخاري - بقلم محمود حسن نصار - ص٩.
(٦) مقدمة صحيح البخاري - بقلم محمود حسن نصار - ص٩.
(٧) صحيح البخاري - ص٦٧٨- ح٣٧١٤- باب مناقب قرابة رسول اللهﷺ.
(٨) الصحاح الجوهري ص٨٤٩.
(٩) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ص٧٦٦- ح٤٢٤١.
(١٠) تاريخ الأمم والملوك - الطبري ج٣- ص١٢٧.
(١١) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ج٥ ص٨٢.

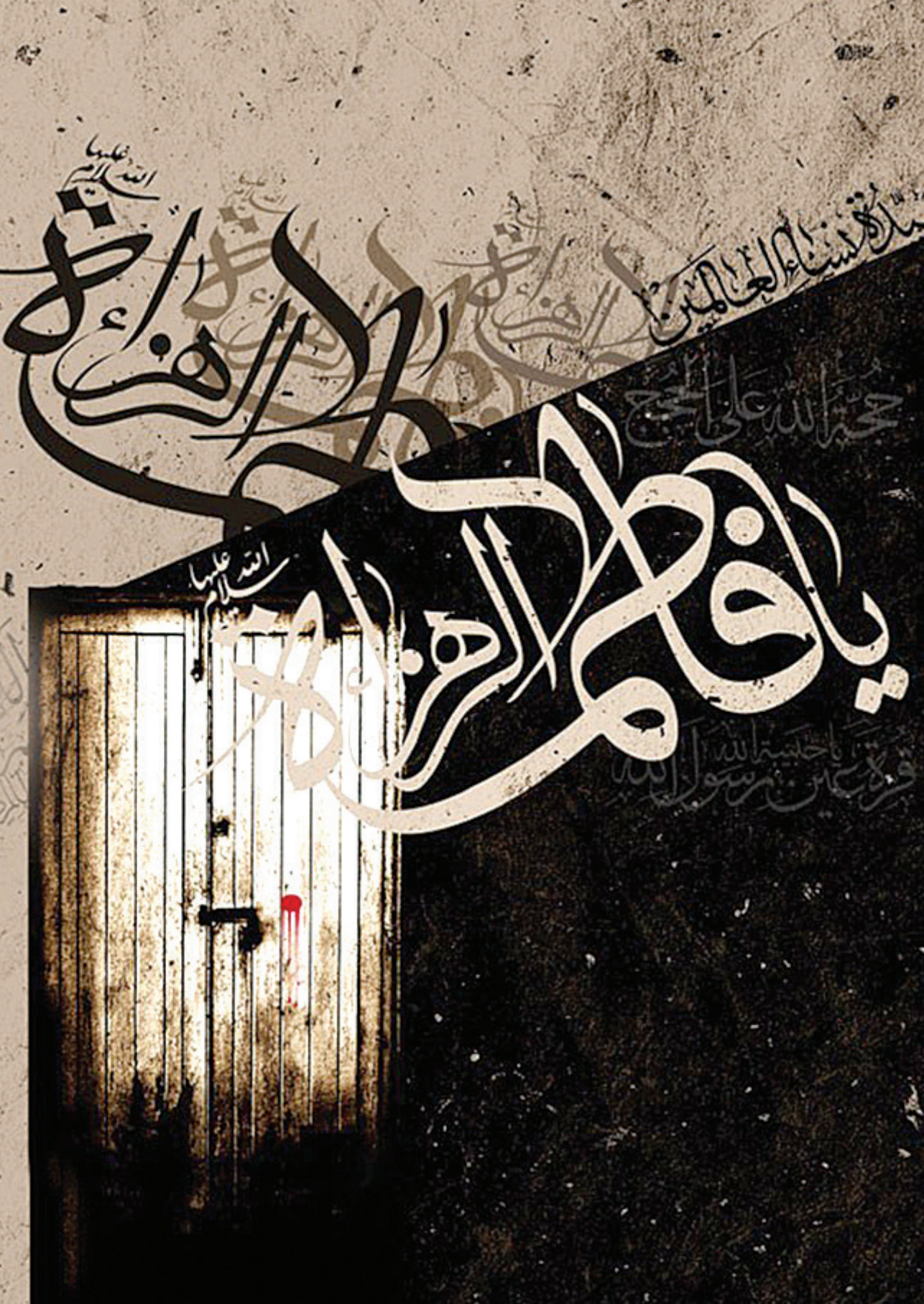
سلام الله عليها
فاطمة الزهراء
سلام الله عليها
يا فاطمة الزهراء

في رثاء الزهراء عليها السلام

السيد صدر الدين الصدر •
(١٢٩٩ ـ ١٣٧٣ هـ)

يا خليلي احبسا الجرد المهارا ... وابكيا داراً عليها الدهر جارا
وربوعاً أقفرت من أهلها ... وغدت بعدهم قفراً برارا
حكم الدهر على تلك الرّبى ... فانمحت والدهر لا يرعى ذمارا
كيف يرجى السلم من دهر على ... أهل بيت الوحي قد شنّ المغارا
لم يخلّف أحمد إلاّ ابنةً ... ولكم أوصى إلى القوم مرارا
كابدت بعد أبيها المصطفى ... غصصاً لو مسّت الطود لمارا
هل تراهم أدركوا من أحمد ... بعده في آله الأطهار ثارا
غصبوها حقّها جهراً ومن ... عجب أن تغصب الزهرا جهارا
من لحاها إذ بكت والدها ... قائلاً فلتبك ليلاً أو نهارا
ويلهم ماضرّهم لو بكت ... بضعة المختار أيّاما قصارا
من سعى في ظلمها؟ من راعها ... من على فاطمة الزهراء جارا؟
من غدا ظلماً على الدار الّتي ... اتّخذتها الإنس والجنّ مزارا
طالما الأملاك فيها أصبحت ... تلثم الأعتاب فيها والجدارا
ومن النار بها ينجو الورى ... من على أعتابها أضرم نارا
والنبي المصطفى كم جاءها ... يطلب الإذن من الزهرا مرارا
وعليها هجم القوم ولم ... تك لاثت لا وعلياها الخمارا
لست أنساها ويا لهفي لها ... إذ وراء الباب لاذت كي توارا
لا تسلني كيف رضّوا ضلعها ... واسألنّ الباب عنها والجدارا
واسألن أعتابها عن محسن ... كيف فيها دمه راح جبارا
واسألن لؤلؤ قرطيها لما ... انتثرت والعين لم تشكو احمرارا
وهل المسمار موتور لها ... فغدى في صدرها يدرك ثارا

تسبيح الزهراء عليها السلام

دراسة وتحليل

محمد دعيبل •
كاتب وباحث

ينابيع

(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا)[1]، ما أعظمه من حديث يحمل للبشرية رسالة عظمى تحمل مبادئ وقوانين إلهية تهدف إلى سعادة البشرية جمعاء، فالقرآن الصامت المتمثل بالكتاب المجيد والذي يعد بمثابة دستور خالد ينظم الحياة بكل مفاصلها (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)(الإسراء :٩) والقرآن الناطق الذي يتمثل في شخصية أهل البيت عليهم السلام وهم خلفاء الله في أرضه وترجمان قوانين السماء التي جسدها القرآن الكريم، كلا المحورين يرسمان دائرة مغلقة، ذلك لأن التعريف بهما جامع مانع كما يحققه المناطقة في موضعه، ومن هنا فإن أي تحويل في المسار وأي خروج عن الدائرة المذكورة سيؤول بصاحبه إلى الهاوية، ولسنا بصدد البحث في هذا المقام عن المعاني السامية للحديث الشريف، بيد أننا نريد أن ننطلق من هذه النقطة لنشير إلى عمل مندوب أكدّ عليه الشارع المقدس وأجرى لفاعله الكثير من الأجر والثواب، بما يحمل من أسرار تكشف عن عظمة الشخصية ذات العلاقة بهذا العمل، وموضوعنا هنا هو دراسة حول تسبيح الزهراء عليها السلام وما يحمل هذا الذكر من معان ذات علاقة بالجانبين المادي والروحي، قد لا يتراءى للكثيرين ضوءه مع شدة السطوع بسبب ظلمة القلب لا غير، وفي الواقع نرى أن الباحث عن شخصية الزهراء عليها السلام يجد نفسه أسيراً بين فيض من الأسرار التكوينية والتشريعية التي تحملها هذه المرأة العظيمة لسمو رفعتها وعلو مقامها، ولعل قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بحقها أنها (أم أبيها) يكون كافياً ليستوعب معاني الأحاديث التي وردت بحقها في كتب العامة والخاصة، كما أن الحديث الوارد عن الإمام العسكري عليه السلام في حق سيدة النساء عليها السلام: (نحن حجج الله تعالى على خلقه وجدتنا فاطمة حجة

الله علينا)[٢] كاشف عن عمق العلاقة بين الله تعالى وهذه السيدة التي ظلمها من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، كما يستكشف من الحديث الوارد الذكر أن الزهراء عليها السلام هي علة التكوين وسر الله تعالى في خلقه، والوصول إلى كنه هذا السر أمر صعب مستصعب، إلّا أن السمات والمناقب وموارد الفضل يمكن استيعابها حينما يتأتى ذلك من قول المعصوم وفعله وتقريره، كما حققه علماء السير ورواة الحديث، ولكي نسلط بعض الضوء على أحد الأذكار التي تبين للقارئ الكريم مديات الارتباط بين الخالق والمخلوق، وأقصد بالذكر هنا تسبيح الزهراء عليها السلام.

أفضل الذكر:

يعد تسبيح الزهراء عليها السلام من أفضل تعقيبات الصلاة، ويستحسن المداومة عليه بعد الصلاة الواجبة، وقبيل النوم، وقبل زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام، بل في كل زمان ومكان، والأحاديث متواترة في فضله وعلو مرتبته، فقد ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام من أنه يوجب غفران الذنوب، ويرضي الرحمن، وأفضل من صلاة ألف ركعة مندوبة، و يوجب ثقل الميزان لأعمال الإنسان، كما أنه ومع تركيبته السهلة يعد سبيل المؤمن إلى الجنّة.

جملة من الروايات:

- عن الإمام الصادق عليه السلام: (من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام قبل أن يُثني رجليه من صلاة الفريضة غفر الله له)[٣].

- عن الإمام الباقر عليه السلام: أنه قال: (من سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام ثم استغفر الله غُفر له، وهو مائة باللسان، وألف في الميزان، ويطرد الشيطان ويرضي الرحمن)[٤].

- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أنه قال: (تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إليّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم)[٥].

أقول: إن الأحاديث الواردة في هذا المجال كثيرة وما ذكرناه ما هو إلّا غيض من فيض، وإن شئت عزيزي القارئ التفصيل فما عليك إلّا مراجعة كتاب الكافي وغيره من كتب الحديث الذي يغني الموضوع عن كثب.

علنا نستنتج من الروايات التي ذكرناها عدة أمور يمكن لنا أن نلخصها بما يلي:

أولاً: إنه على من أراد أن يعقب بالتسبيح فعليه أن لا يترك فاصلاً بين التسبيح والصلاة ولعل هذا يكشف عن هوية التسبيح وكونه لا يقل فضلاً عن الصلاة، كما أشار إلى هذا المعنى حديث الإمام الصادق من أن التسبيح أفضل لديه من صلاة ألف ركعة مندوبة، وبطبيعة الحال فإن ما يحبه الإمام المعصوم هو مرضاة لله تعالى لأنه عليه السلام وليه في الأرض. كما أنه لا يخفى على القارئ الكريم أن الصلاة أقرب ما يتقرب بها العبد إلى الله تعالى وهي معراج المؤمن كما جاء في الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام.

ومن هنا فإن التسبيح يعد من الأذكار التي تقرب إليه سبحانه وتعالى، ولعلها تعوض عن النقص في الصلاة من حيث انشغال القلب وبعده عن المحبوب عز وجل.

ثانياً: قول الإمام عليه السلام التسبيح يورث غفران الذنوب وإنه بمثابة الاستغفار، يدل على أن فاعله من العليين، ذلك لما ورد عن الإمام علي عليه السلام من أن (الاستغفار درجة العليين)[٦]، كما أنه يسهم في إثراء برنامج العودة إلى الله بعد العصيان.

ثالثاً: لعل سائل يسأل عن ماهية السر في ما يترتب من أثر على من أتى بتسبيح الزهراء عليها السلام مع سهولته بالشكل الذي سنبينه فيما بعد.

وللجواب عن السؤال نقول : إنه ومع أن الذكر هو ذكر لله تعالى، ولا يعني أنه مجرد لقلقة لسان، بل إنها كلمات عظيمة تحمل معان عظيمة إلا أن المكان بالمكين كما يقولون وإن السر هنا هو العلاقة التي تربط بين من نسب إليها الذكر والفيوضات الرحمانية غير المحدودة التي تترتب على الذاكر، فكل ذلك كاشف عن أن تعظيم التسبيح يكمن في تعظيم قدر الزهراء عليها السلام وأنها هي المعنية في الذكر قبل الذكر ذاته، وما الذكر إلا وسيلة لإدراك كنه سيدة النساء عليها السلام.

تجارب تتحدث:

يتحدث الكثيرون عن الأثر الوضعي لمن يلتزم بتسبيح الزهراء عليها السلام، حتى يكون جزءًا من حياته اليومية، فهو يذهب بالهَمّ والغَمّ، ويدفع الكثير من البلاء، ويجلبَ الرزقَ، وينعش الروح كونه، غذاءً روحيًا أسوة بغذاء الجسد، وطريقًا لاستجابة الدعاء، وقوة في البدن، وقناعة ونماء في

الرزق، وصلاحًا في السلوك، فضلًا عما يتحقق من آثار أشارت إليها الأحاديث التي أوردناها والتي لم نذكرها لعدم سعة المقام، ولأن الأمر في الواقع يحتاج إلى بحث متخصص في هذا المجال. وبعد أقول (فهل من شك في يقين؟).

قصة التسبيح:

شَكَتْ فاطمة لرسول اللهﷺ مما تلقى من أثر الرحى (الطحن) فقالﷺ: (يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا بما فيها، تكبرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بـ (لا إله إلا الله)[٧].

كيفية التسبيح:

١- (الله أكبر): ٣٤ مرة
٢- (الحمد لله): ٣٣ مرة
٣- (سبحان الله): ٣٣ مرة.

ثم يختم الذاكر ذلك بقول (لا اله إلّا الله) كما ورد عن الإمامعليه السلام.

كما وردت صورة التسبيح عكس ذلك إلّا أن المتعارف هو ما ذكرناه وإن شئت فراجع.

نستدل من قول أمير المؤمنينعليه السلام عدة أمور منها:

أولًا: إن التسبيح له أثر وضعي في الدنيا كما أن له ثواب الآخرة، فهو يذهب التعب والنصب، ونستشف هذا من خلال ما شَكَت الزهراءعليها السلام لرسول الله تعالى من أثر الرحى.

ثانيًا: إن التسبيح هو خير من الدنيا وما فيها، أقول ما أعظم هذا الكلام وما أعظم أثره لدى الذاكر الذي يتعود على العمل به، حتى إنه يكون جزءًا لا يتجزأ من حياته اليومية.

آداب التسبيح:

من آداب التسبيح وكماله الخشوع أثناء التسبيح. وليكن جلوسك للتسبيح متصلاً بجلوسك للتسليم، وترك الكلام في أثنائه، والتلفت ونحوهما، كما تقدم، ومن شك في عدد التسبيح أعاده. فعن الإمام الصادقعليه السلام: (إذا شككت في تسبيح فاطمة الزهراءعليها السلام فأعد)[٨]، ومن هذا الحديث نستنتج أن مقام التسبيح يضاهي مقام الصلاة التي هي عمود الأعمال[٩]، وتوصية الإمامعليه السلام بالاعتناء به حفاظًا على كمال ما يترتب عنه من آثار دنيوية وأخروية لا يسعها المقام ■

---

(١) غاية المرام/البحراني ص٢١١.
(٢) تفسير أطيب البيان : ١٣ / ٢٢٦.
(٣) الوسائل ٤ : ١٠٢١ الباب ٧ من أبواب التعقيب الحديث ١.
(٤) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (ع)/الحرّ العاملي.
(٥) شرائع الإسلام/المحقق الحلي ج١.
(٦) جواهر الكلام / الجواهري ج٧ص١٩٨.
(٧) بحار الأنوار / المجلسي ج٨٢ص٣٣٦ .
(٨) الكافي للكليني ج٣ص٣٤٢.
(٩) المقصود هنا الصلاة المستحبة وليست الواجبة.

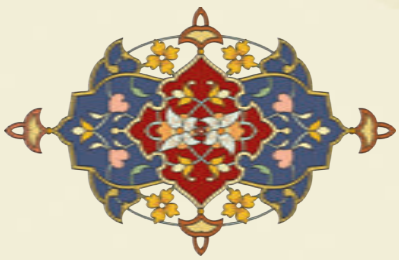

رثاء الإمام الحسين عليه السلام
في شعر علي الجشي

أ. م. د. حسين لفتة حافظ •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

أدب الشيعة صدى لعواطف ملتهبة، أخمد الزمان لهيبها أن يظهر، وأطلق الأدب دخانها أن يثور، ففاح كما يفوح النَّدُ حين يحترق، وماء الورد حين يتصعد.

وفي الأدب الشيعي رقة الدمع ورهبة الدم، والحزن للقلوب الكئيبة، كالنار حين تنفي خبث الحديد وتنقي الذهب الإبريز، ويستطيع الأديب الشيعي أن يبكي في ثورته وأن يثور في بُكائه وأن يُسيطر على الموقف في كلتا الحالتين، لأنه يُلقي من شظايا فؤاده.

ويطلق اسم الشعر الشيعي على ذلك الشعر، الذي قيل في علي وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مدحاً ودفاعاً ورثاءً. ومنذ القرن الإسلامي الأول برز شعراء كرسوا جل اهتمامهم في هذا المجال، فسموا شعراء الشيعة، ويعد الشيخ علي الجشي واحدًا منهم.

فلقد استطاع الشيخ علي الجشي أن ينقل لأهله القطيفيين من الأدباء تجربة الحليين التخصصية من الشعراء، فالقارئ لا يكاد يستمع إلى قصيدة حلية إلاّ وتتبادر إلى ذهنه واقعة الطف، لشدة ما ربط الشاعر مصير قصيدته بقضية كربلاء. فالجشي الذي ولد سنة ١٢٩٧هـ في مدينة القطيف، الجزء الشرقي من جزيرة العرب، هاجر إلى النجف الأشرف واستقرَّ بها لتحصيل العلوم الدينية سنة ١٣١٧، وحضر في كربلاء عند بعض الأعلام، وكذلك الكاظمية وسامراء ثم آب عائداً إلى النجف الأشرف وأقام ثانية ما بين عامي ١٣٣٤ و ١٣٤٥ وحضر

عند الميرزا النائيني وأغا ضياء العراقي والسيد أبو الحسن الأصفهاني، وأخيراً لدى السيد الحكيم قدس سره وهو من القلائل الذين حظوا بالإجازة الخطية بالاجتهاد من لدن السيد الحكيم قدس سره.

وتعد قصيدة الشيخ علي الجشي الداليّة من عيون شعر رثاء الإمام الحسين عليه السلام وتمتاز بأنها ذات بناء فني يشبه بناء القصائد القديمة من حيث الوقوف على الأطلال وبكاء الربع، ويتحدث فيها الشاعر عن الشكوى وهو تقليد جاهلي توارثه الشعراء منذ قديم الزمان.

لغة شعر القصيدة

إن اللغة الشعرية التي تجعل من الصورة أساساً لها، تصبح وسيلة تواصلية مسعفة في التعبير عن أية حالة أو رؤية تعبر وجدان الشاعر وذهنه؛ بل تمكنه من طريقة سحرية في الإيحاء بالشيء الذي يجعل المتلقي قادراً على التقاط الإشارات وتحويلها إلى دلالات قد تضيق أو تتسع حسب طبيعة مرجعية المتلقي، وقدراته على التأويل نحو قوله :

حـيّ إن جئت ربع أنسـي زرودا
واحبس الركب عندها والخودا
فعسـى تنقضـي لبنـات قلبي
فيرباهـا إذا التثمـتُ الصعيدا
لسـت أنسـى بهـا ليالـي أنس
مشـرقات وعهدنـا المعهـودا

قد نظمنا فيها حديث التهاني
ونثرنا عقد الهوى المنضودا[1]

استعمل الشاعر على الجشي كثيرًا من المفردات القديمة، وضمنها قصيدته في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، وربما يعود السبب إلى إرادة الشاعر أن يعيش المتلقي في الأجواء القديمة واللغة السائدة في عصر الإمام، حتى يكون قريبًا من الأحداث التي حصلت آنذاك وما تلاها من استشهاد الإمام عليه السلام على يد الزمرة الضالة من أتباع الشيطان.

فضلاً عن هذا امتازت قصيدة الشاعر بجودة استعماله لفن حسن التخلص، فقد كان الشاعر ينتقل من موضوع إلى آخر دون أن يشعر المتلقي بهذا الانتقال، ويعود الفضل في هذا إلى براعة الشاعر في توظيف هذا الفن الشعري الذي يتعلق ببناء القصيدة، انظر إلى قوله :

شيمة للزمان شب عليها
لم يسالم من كيده موجودا
لا يراعي أخا العلى لعلاه
من حيا لا ولا يراعي الوليدا
أترى للعلا أخًا كحسين
أم ترى مثل طفله مولودا
ذاك أرداه بالحسام وهذا
سهمه قد أصاب منه الوريدا[2]

نلاحظ بعد هذه المقدمة التي اشتملت على الشكوى من الزمان أن الشاعر ينتقل للحديث عن واقعة الطف الأليمة بانسيابية تامة.

كذلك يلاحظ المتلقي على هذه القصيدة توظيف الشاعر لأساليب بلاغية متنوعة كان لها شأن في التأثير في المتلقي، منها أسلوب التقديم والتأخير في قوله :

وآزرته عصابة لو إليها
برز الموت في اللقا لأبيدا

فاصل الكلام هو (لو برز الموت إليها)، لكن الشاعر أراد من وراء تقديم النفس على الموت أن يدلل على أن الموت مخصص بالبروز إلى هذه النفوس دون غيرها، فقد حددها وشخصها فهي قادرة على أن تبيد الموت بفضل بسالتها وشجاعتها فهي لا تهاب الموت، وهذا ليس بالغريب على شخصية الإمام سيد الشهداء فشجاعته من شجاعة أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام: (قال أبو الفرج وحدثني محمد بن الحسين أيضًا بإسناد ذكره، أن الأشعث دخل على علي فكلمه فأغلظ عليٌّ له فعرض له الأشعث أنه سيفتك به فقال له علي أبالموت تخوفني أو تهددني فو الله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي)[3].

وقد جسد شاعرنا هذا بقوله :

أو هل يخشى لقاء المواضي
من بحجر الوغى تربى وليدا[4]

نلاحظ الإشارة الواضحة إلى البيئة التي عاش فيها الإمام (سلام الله عليه) فهي بيئة عز وشجاعة ومجد ، لقد استفاد الشاعر من توظيف أسلوب الاستفهام.

أما بنية الاستفهام، في هذه القصيدة فقد كان لها حضور، وهذا الحضور إنما يعكس ما يمور به وجدان الشاعر من أرق وحيرة، وما يفعمه من توق إلى اجتذاب المتلقي والزج به في أتون التجربة، بحيث يصبح التلقي فعلاً إيجابياً يضيف إلى النصوص مثلما يأخذ منها، لأن الشاعر يريد أن يبين حجم تضحية الإمام.

ويلاحظ القارئ أن الشاعر جسّد كثيرًا من قيم الشجاعة والبطولة والتمسك

بالدين الإسلامي والسير على خطى النبي محمدﷺ في هذه القصيدة، فهو يشير إلى أن الإمام الحسينعليه السلام جزء لا يتجزأ من النبيﷺ وقد أشار إلى ذلك في قوله :

ولو الدهر لابن أحمد أبدى
في الوغى صفحة لكان الفقيدا[٥]

نلاحظ أن الشاعر يكني الإمام بأنه ابن أحمد، وفي هذا شرف عظيم وردٌّ على من يرى أن الصلة بعيدة بين الإمامعليه السلام والنبيﷺ، وهي مسالة طبّل لها أعداء الإمام ولم يصلوا فيها إلى شيء سوى الخيبة.

وفي الختام، التعبير الشعري تعبير يتميز بأنه تعبير تصويري لا تقريري، وأن التصوير في حاجة إلى التشبيهات والاستعارات والصور، ويعتبر عموداً يقوم عليه الشعر، وقد استطاع شاعرنا الجشي أن يقدم صورة مليئة بالفخر والاعتزاز عن الإمام الحسين (سلام الله عليه) ■

(١) الديوان : ١٢٢
(٢) الأبيات في الديوان : ١٢٢.
(٣) شرح نهج البلاغة ٦: ١١٨.
(٤) الديوان :١٣٢.
(٥) الديوان : ١٣٤.

مواقف..

علي بن ميثم والملحد

دخل أبو الحسن علي بن ميثم ـ رحمه الله ـ على الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد عظمه الناس حوله ، فقال له : لقد رأيت عجبًا.

قال: وما هو؟

قال: رأيت سفينة تعبر بالناس من جانب إلى جانب بلا ملاح ولا ماصر . فقال له صاحبه الملحد: إن هذا أصلحك الله لمجنون.

قال : فقلت : وكيف ؟

قال : لأنه يذكر عن خشب جماد لا حيلة له ولا قوة ولا حياة فيه ولا عقل : إنه يعبر بالناس ويفعل فعل الإنسان ، كيف يصح هذا؟

فقال له أبو الحسن : فأيما أعجب هذا أو هذا الماء الذي يجري على وجه الأرض يمنة ويسرة بلا روح ولا حيلة ولا قوة، وهذا النبات الذي يخرج من الأرض والمطر الذي ينزل من السماء؟ كيف يصح ما تزعمه من أنه لا مدبر له كله ، وأنت تنكر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر ، وتعبر بالناس بلا ملاح .

قال : فبهت الملحد.

مواقف الشيعة / الأحمدي الميانجي /ج٢

قصيدة:

هذه زينب عليها السلام

السيد محمد رضا القزويني •

وُلـــدت كمـــا يُشـــرق الكوكبُ ... فـــأمٌّ تُبـاهـى و يـزهـــو أبُ
علـــيٌّ وفاطمـــة أنجبـــاكِ ... عَـيـنًـا مِـن الـخـيـر لا يَـنـضَـبُ
و جـــاءا بـــكِ جـــدَّكِ المصطفى ... لِـيـخـتـارَ لاسـمـكِ مـا يُـعـجِـبُ
فقـــال: ولســـتُ كمـــا تعلمانِ ... أسـبـقُ ربّـي بـمـا يَـنـسِـبُ
وهـــذا أخـــي جبرئيـــلُ أتـــى ... بـأمـرٍ مـــن الله يُـسـتـعـذبُ
يَقـــولُ إلهـــك ربُّ الجـــلال: ... تـقـبّـلـتُـهـا و اسـمـهـا زيـنـبُّ
وكفّلتُهـــا بأخيهـــا الحســـين ... ويومٍ يَـعُـزّ بـــه الـمَـشـربُ
لتحمـــلَ أعبـــاءَهُ كالليـــوث ... فـيـسـري بأطـفـالـه المَـركَـبُ
أُ ســـارى إلى الشـــام من كربلاءَ ... وسَـوطٌ علـى ظـــهرهم يَـلـهـب
أقائـــدةَ الركـــب يـــا زينـــبُ ... تَـغَـنّـى بـكِ الـشـرقُ و الـمـغـربُ
خَطبـــتِ فـــدوّى بســـمع الزمانِ ... صوتٌ إلـــى الآنَ يُـســتـرهَـــبُ
أخـــافَ الطُغـــاةَ على عرشـــهم ... فـظـنّـــوا عـلـيًّـا بـدا يَـخـطـــبُ
وأســـقطتِ قبـــلَ فنـــاه يزيـــد ... وضاقَ عـلـى رأيـــه الـمَـذهـــبُ
وولّـــت أُميّـــةُ مدحـــورةً ومـــا ... ظـلّ ذِكـــرٌ لـهـــم طـيّـــبُ
وأنـــتِ التـــي كُنـــتِ مأســـورةً ... وما لـكِ فـي الـــشام مَن يُـنـسبُ

لكِ اليــومَ هذا النــدى والجلال ... مِثـالًا لأهــــلِ النُـهى يُـضــــربُ
وقبــرٌ يطــوفُ بــه اللاّئــذونَ ... رمـزًا و مـا عـنــــده يُــطــلــبُ
مَنــارًا يُشِــعُّ بأُفــقِ الســمــ ... ــــماء فيُعلِنُها: هــــذه زينــبُ

وقفة مع الشاعر المصري
محمود جبر
شاعر أهل البيت عليهم السلام*

د. حسن الخاقاني •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

لا يكاد يخلو شاعر من ذكر آل البيت عليهم السلام في شعره، فهو إما محب مقيم على حبهم وإما هو سادر في لهوه ثم تدركه الرحمة فيستجير بشفاعتهم، أو هو ناصب معاد يذكرهم أيضاً بطريقته، ولا غرابة في ذلك، فهم أهل الفضل الذين فضلهم الله على سائر خلقه، والناس قد ابتلوا بهم ، فمن أحبهم نجا، ومن عاداهم هوى.

أما من سمي بشاعر أهل البيت فيمكن أن نجد كثيراً ممن ينطبق عليه الوصف، ومنهم شاعر من أبناء الكنانة، مصري المولد والنسب، هو الشاعر محمود جبر رحمه الله.

ولد الشاعر محمود جبر في مدينة مغاغة من محافظة المنيا في مصر سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م من أسرة رقيقة الحال متوسطة العيش، ووالدته شريفة تنتسب إلى الإمام الحسين عليه السلام، وهي التي - مع جدِّه - غذته بحب آل البيت وحفظ القرآن الكريم منذ الصغر، وقد تدرج في مراحل التعليم حتى حصل على شهادة البكالوريوس، ولكنه ظهر شاعراً مثقفاً إذ كان الفضل كل الفضل لوالدته التي كانت تشتري له الكتب وتعينه عليها حتى نشأ شاعراً قوي العود.

(*) المصدر الرئيسي لهذه المقالة كتاب: دراسات في الأدب والنقد للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص٩٣ - ص١٠٣.

عرف محمود جبر خطيباً مفوّهاً أيام الدراسة، وقد فصل على إثر اشتراكه في الخطابة وإلقاء قصائد حماسية تساند الحركة الوطنية ضد الاستعمار.

عمل موظفاً في وزارتي الأوقاف ثم الزراعة، وفصل سنة ١٩٣٠م حين أخرج كتابه: (رسائلي أو القلب المحطّم) وفيه ثورة سياسية على حكومة صدقي باشا والملك فؤاد، وقد صودرت رسائله حينذاك وهي من الأدب الجريء.

وجّه شعره إلى مديح الإمام الحسين عليه السلام وسمي شاعر الحسين عليه السلام وشاعر أهل البيت عليهم السلام وشاعر الشبان المسلمين.

كان محمود جبر جم النشاط، فهو فضلاً عن عمله مصححًا لصحف دار الهلال لزمن طويل، كان عضواً في (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، و(العشيرة المحمدية)، و(جمعية الشبان المسلمين) و(جمعية الأدباء). وغيرها.

آثـــاره:

ترك محمود جبر آثاراً أدبية متنوعة، يغلب عليها الطابع الديني الشريف. ومن هذه الآثار نذكر:

١ـ رسائلي أو القلب المحطَّم سنة ١٩٣٠.

٢ـ أنّات (وهو في رثاء وحيده (محمد) سنة ١٩٣٧.

٣ـ الحسينيات ديوان شعر سنة ١٩٤٢.

٤ـ قربتي أو نهج جديد للبردة سنة ١٩٤٥.

٥- مزامير الإيمان، ديوان من الشعر في مدح آل البيت ١٩٥٠.
٦- ديوان شاعر أهل البيت ١٩٥٩.
وله أعمال أخرى منها:
* رشفات من خمر التوحيد.
* مسرحية بعنوان: خالد بن الوليد.
هذا فضلاً عن كثير من المقالات والمشاركات التي نشرها في الصحف والمجلات.
قام بعدة رحلات إلى البلدان العربية، كان من أهمها أداؤه فريضة الحج إلى الديار المقدسة.
توفي رحمه الله في القاهرة في سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

مكـــانته:

احتل محمود جبر مكانة رفيعة بين شعراء العصر الحديث، وقد ذكره نقاد العصر بالفضل ورفعة المقام، وقال عنه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي: (يمتاز شعره بالعاطفة المشبوبة، والمشاعر القوية الحارة، وغالباً ما ينظمه في آل البيت وروائعه كثيرة في هذا الباب حتى لتكاد تلحق بهاشميات الكميت شاعر العلويين القديم المتوفى عام (١٢٦هـ) ويكفيه هذا شهادة، فحب آل البيت عليهم السلام هو الشرف الرفيع الذي يسعى إليه المحبون.

مختارات من شعره

قال في رسول الله صلى الله عليه وآله من قصيدة: نهج البردة الشريفة وهي التي سماها (قربتي):

صلى عليك بارئ النسم
يا مبعث النور في الأكوان من قدم
يا رحمة الله للدنيا ومنقذها
يا هادي الناس للإسلام والسلم
يا سيد الرسل ما بالشوق عنك غنى
ولا الحنين ولا جرحي بملتئم
درجتَ تحبو على أرض قد اكتسبت
منك الطهارة والتقديس من قدم

ومن قصيدة له في آل البيت عليهم السلام، والإمام الحسين عليه السلام خاصة:

لكم العروش وفيكم الخلفاء
وبنوركم دنيا السماء تضاء
الشمس تشهد أنها (علوية)
أهدت لها أنوارها (الزهراء)
والأرض مذ خطرت بها أقدامكم
(يا آل طه) سدرة عصماء
أنتم إذا دحت الحوادث صبحنا
وإمامنا إن غشت الظلماء
أشربت حبكمُ ففيه دواء
لا بل، وفيه لمن أحب وقاء
إن البطولة في سجل حياتنا
صفحاتكم وجميعها بيضاء
أعمى وأرمد لا يمس بنوركم
أو يبصر النور المضيء عماء

يشير في هذا البيت إلى ملازمته مقام رأس الإمام الحسين عليه السلام في مصر.

عميت بصائرهم وضل صنيعهم
فهموا وسكان القبور سواء
أو أنت تسمع من ثوى في قبره
باء الشقي بحسرتين وباؤوا
هذا المحيط من الخلائق ساقه
حب وإخلاص لكم وولاء
حب لأن الله أوجب حبكم
ولأنكم بين الورى الخلصاء

ومن قصيدة له في يوم الغدير:

عام يجيء وآخر يتصرم
والناس ظلام وآخر يظلم
ومحرّم في الناس بات محللاً
والخير بين العالمين محرم

وتمر بالشرف الصروف فلا أرى
شرفاً تحركه الصروف فيقدم
عفوا أبا الشهداء هذي زفرة
محمومة وأنا ألمحب المغرم
هذا غرامك سيدي في أضلعي
بل ثدي أمّي يحتويه وأقسم
يوم الغدير عليك ألف تحية
يا خير يوم بالتجلة يوسم
ستضل دنيانا على طول المدى
تحكي حديث نبينا وتعظم

وقد قال في السيدة زينب عليها السلام أكثر من قصيدة ومن واحدة يرد فيها على النواصب يقول:

أناجيك أما الهمس فهو صفاءُ
وأمّا وحولي الناس فهو ثناء
أغرّد من شوقي بما هو مؤنس
عليلاً لعل اللحن فيه شفاء
وأنتم لنا في مصر منبع رحمة
وغيث فيوضات همت ونجاء
وأنتم مصابيح الهداة بدونكم
نضل وما فيما أقول مراء

ومن قصيدة أخرى في السيدة زينب عليها السلام، وقد قال بعد أدائه فريضة الحج:

ضاعفت عند المصطفى صلواتي
وعقدت بالبلد الأمين صلاتي
ووقفت في الساح الرحيبة منشداً
شعري ورددت الربا حبواتي
ورأيت أنوار النبي تحف ما
حولي من الساحات والعرصات
وسبحت في النور البهي مزوداً
بالفيض والبركات والنفحات
وسمعت إنشاد الملائك عنده
في رنة قدسية النغمات
نبع القداسة والطهارة والندى
برحاب جدك هاطل الرحمات
يا بنت فاطمة البتول أنا الذي
نثر الزهور هنا على العتبات
يا بنت فاطمة وبنت خديجة
كلتاهما في أرفع الدرجات
يا بنت أصدق من وفى لمحمد
وفداه في أيامه العسرات
يا أخت مولاي الحسين وكعبة
في مصر للحسنات والبركات
صور البطولة يا عفيفة والحجا
في كربلاء لأكرم البطلات ■

قصة قصيرة:

مدينة تأكل لحوم البشر

م. فارس عطية محمد •
المعهد التقني/ النجف الأشرف

ينابيع

إنه الشتاء.. ليل طويل..
برق.. رعد..
ورذاذ مطر..

الفراغ يحاصرني من كل زاوية، رفعتُ بصري فوقع على مكتبتي الأنيقة، إنها صفراء تسر الناظرين، تناولت كتاباً وفتحته بتململ، وجدتُ فيه عنواناً مثيراً للدهشة والاستغراب، يصرح فيه أن مدينة يقوم أهلها بأكل لحوم البشر، لا أخفيكم سراً.. اشمأزت نفسي للوهلة الأولى وتجافت عن أكل اللحم.

لكن قررت أن أقوم بزيارة تلك المدينة، استغثت بالـ(Internet) للحصول على العنوان وقطع تذكرة سفر في أقرب طائرة متوجهة إلى ذلك المكان، فقدم لي الـ(Yahoo) نصائحه... قال: إن الرحلة باهظة الثمن ولكن نستطيع نقلك عبر موقع إلكتروني.

دخلت الموقع.. أعطاني التعليمات.. قرأتها.. بدأت أتبعها بدقة..

سيتم نقلي بجسدي الأثيري للتجول في ذلك المكان، فهم يعملون على نظرية فصل الجسد الأثيري عن المادي في هذا العالم دون وقوع مصيبة الموت.

انتقلت معهم يقودني الـ(Report) حتى أشرفنا على المدينة، تركني على المدخل وقال: أنت حر التجوال، فشكرته بامتنان، ذاب من الخجل واختفى.

دخلت المدينة، فإذا عامرة ذات أشجار وأنهار وعمران..

بدأت أتجول في الأسواق المزدهرة، الناس عاديون.. يبيعون.. يشترون.. يتسامرون.. متجمعون في المقاهي والمتنزهات. رأيت مخبزاً، فتذكرت الجوع، وقفت لشراء الخبز، وإذا الخبازون يأكلون من كتف رجل المرور الواقف في التقاطع، فاشتريت الخبز وانصرفتُ لشراء البطيخ (لأن الرحلة كانت شاقة وطويلة وأشعر بالجوع والعطش).

عند وصولي إلى بائع البطيخ وبينما كنت أشم البطيخ لأحصل على واحدة ذات مذاق حلو، تدل عليه رائحته المميزة،

كان بائع البطيخ يأكل نصف وجه الخباز (النصف الأيمن) حتى بدت أسنانه وجمجمته وتساقط شعره لأنهم لا يأكلون الشعر (اللحم فقط).

اشتريت البطيخ وتوجهتُ مسرعاً إلى أقرب مقهى لأتناول طعامي، فرحلتي كانت شاقة حيث فقدتُ أكثر من نصف وزني بسبب الجوع والعطش.

جلست على الأريكة الأخيرة مقابل واجهة المقهى فاندهشت من صاحب المقهى، كان يستخرج أمعاء بائع البطيخ (لا أدري الغليظة أم الدقيقة) ويأكل منها، لأن الأمعاء تعد من اللحوم في الدول الفقيرة.

سألت صاحب المقهى لمَ تأكلون لحوم بعضكم البعض وهذا الطعام متوفر بين أيديكم.

نظر لي بحذر وقال:

هل أنت غريب؟

نعم.

ألا تعلم في أي مكان أنت الآن؟

لا.

أنت في نار جهنم ــ وادي الغيبة.

ونحن نسمى كلاب النار وطعامنا... لحوم الآدميين.

فصعقت مما سمعت وخررت مغشياً.

وإذا الساعة تشير إلى الحادية عشرة ليلاً، وقد انتهى وقت المولدة فحصل إطفاء قسري للـ(Computer) بسبب عطل الـ(UPS) ■

في الذاكرة ..

شهر جمادى الأولى

٥ مولد السيدة زينب بنت الإمام علي عليها السلام سنة ٥ هـ .

٦ استشهاد جعفر بن أبي طالب (جعفر الطيار) عليه السلام في معركة مؤتة سنة ٨ هـ .

٨ وفاة السيد محمد باقر الخونساري صاحب كتاب (روضات الجنات) سنة ١٣١٣ هـ .

٩ استشهاد الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) سنة ٧٨٦ هـ .

١١ ولادة الخواجة نصير الدين الطوسي سنة ٥٩٧ هـ .

١٣ استشهاد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ١١ هـ على رواية خمسة وخمسون يوما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

١٥ هذه الليلة ولادة الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام سنة ٣٨ هـ .

١٥ فتح البصرة على يد أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل سنة ٣٦ هـ .

١٦ غزوة ذات الرقاع سنة ٤ للهجرة واستمرت ثلاثة أيام .

٢٧ وفاة عبد المطلب جد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله توفي وللرسول ثماني سنوات وشهران وعشرة أيام، وتولى تربيته عمه أبو طالب.

٢٩ وفاة محمد بن عثمان العمري السفير الثاني للإمام الحجة (عجل الله فرجه).

شهر جمادى الثانية

٣ استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام (على رواية) سنة ١١ هـ .

هلاك هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ .

٤ وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين (صاحب كتاب المراجعات) سنة ١٣٧٧ هـ .

٩ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر سنة ٧ هـ .

١٢ وفاة فاطمة بنت حزام (أم البنين) زوجة أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦٤ هـ .

١٣ تهديم الكعبة وحرقها على يد عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ .

١٥ ولادة الإمام السجاد عليه السلام سنة ٣٨ هـ (على رواية).

١٥ هلاك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ .

١٨ وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره سنة ١٢٨١ هـ .

٢٠ ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام السنة الخامسة للبعثة ، وقبل الإسراء بثلاث سنوات.

٢١ وفاة السيدة أم كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦١ هـ بعد ٤ أشهر من واقعة الطف ورجوعها إلى المدينة.

٢٣ وفاة الشيخ جعفر بن سعيد (المحقق الحلي) سنة ٦٧٦ هـ .

٢٦ استشهاد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (على رواية) سنة ٢٥٤ هـ .

٢٩ وفاة السيد محمد البعاج (سبع الدجيل) ابن الإمام علي الهادي عليهما السلام سنة ٢٥٢ هـ .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وقفة مع الذكرى..

ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين في ٢٠ جمادى الثانية سنة ٥ للبعثة

أطلت على الدنيا بطلعتها الغرا
وليدة بيت الوحي فاطمة الزهرا
كإطلالة الفجر المدل بنوره
وكم ساهر في الحي يرتقب الفجرا
وبشر فيها الوحي عند نزوله
وباهى بها جبريل مذ جاء بالبشرى
فأشرق بالنورين بيت خديجة
فنور من الكبرى ونور من الصغرى[1]

ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنوات، فعاشت تحمل في شخصيتها العظمة والنور، تنتقل من حجر خديجة إلى حجر النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يغذيها بمعين الرسالة، وكانت أحبّ أهل بيته إليه صلى الله عليه وآله، فترعرعت في البيت الذي كان محطاً لملائكة الرحمن. ولما كبرت فاطمة عليها السلام أخذت تشاطر والدها هموم الرسالة الإسلامية، وتقوم بالدفاع عنه كلما تطلب الموقف ذلك. حتى إذا بلغت مبلغ النساء نزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ينقل رسالة من الله تبارك وتعالى يقول له: (زوّج النّور من النّور، قال: من ممّن؟ قال: بنتك فاطمة من ابن عمّك علي بن أبي طالب عليه السلام)[2]. فامتثل النبي صلى الله عليه وآله لذلك ودعا علياً وأمره بالزواج

امتثالًا لرسالة الله تعالى، بينما غمرت الفرحة قلب أمير المؤمنين عليه السلام لما لفاطمة من عظمة ومنزلة عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وهكذا دخل السرور والابتهاج إلى قلب فاطمة عليها السلام لأنها تعلم أنه لا يليق بها سوى علي عليه السلام، فكلاهما كفؤ للآخر. وهكذا أصبحت فاطمة زوجة عظيمة لزوج عظيم، فأنجبت عليها السلام أربعة هم: الإمام الحسن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، والسيدة زينب عليها السلام، والسيدة أم كلثوم، وسقط منها (المحسن) في أحداث مؤلمة ستأتي فيما بعد. ولقد كرّم الله هذه العائلة الشريفة في كتابه المجيد في عدة مواضع. فأشار إلى عصمتهم وطهارتهم بقوله: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)، فكان بيت فاطمة مثالاً للتّأسي والنجاح. أما المعاجز التي حصلت لفاطمة فهي أكثر مما تحصى، ولا يتسع المقام لذكرها. ونذكر منها أنها كانت تحدث أمها وهي مازالت جنينًا في بطنها.

وأما فضلها، فقد قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (خلق الله نور فاطمة قبل أن يخلق الأرض والسماء، فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال صلى الله عليه وآله فاطمة حوراء إنسية)[٣].

وفي البخاري عن ابن عباس : قال : لما ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سماها المنصورة ، فنزل جبرائيل ، فقال : (يا محمد، الله يقرئك السلام ، ويقرئ مولودك السلام، وهو يقول : ما ولد مولود أحب إلي منها ، وأنه قد لقبها باسم خير مما سميتها ، سماها فاطمة ، لأنها تفطم شيعتها من النار)[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة ، والصديقة، والمباركة ، والطاهرة ، والزكية ، والراضية ، والمرضية، والمحدثة ، والزهراء)[٥].

ختامًا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)[٦]. وقال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**) جعلنا الله من شيعتها ومحبيها لننعم بشفاعتها ، وبرأنا الله ممن آذوها وغصبوا حقها.

---

(١) السيد عبد الرؤف الأمين في مستدركات أعيان الشيعة ج١ ص ٨٥ حسن الأمين

(٢) انظر البحار ٤٣ / ١١١ ح ٢٣ و ١٢٣ ح ٣ .

(٣) اللمعة البيضاء/ التبريزي الأنصاري ص١١٤

(٤) ميزان الاعتدال / الذهبي ج٣ ص ٤٢٩

(٥) مستدرك سفينة البحار/ ج٥ ص١٧٤ نقلا عن أمالي الصدوق وعلل الشرايع

(٦) روضة المتقين/ المجلسي ص٣٤٦

وقفة مع الذكرى..

وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره
في ١٨ جمادى الثانية سنة ١٢٨٠ هـ

ولد الشيخ مرتضى الأنصاري في دزفول سنة ١٢١٤هـ. تتلمذ أوائل أمره على عمه الشيخ حسين من وجوه علماء تلك البلدة.

ثم خرج مع والده إلى زيارة المشاهد المقدسة في العراق وهو في العشرين من عمره، فورد كربلاء وكانت الأستاذية والرياسة العلمية فيها لكل من السيد محمد المجاهد وشريف العلماء، فرغب الأول إلى والده أن يتركه في كربلاء للتحصيل على إثر مذاكراته وظهور قابليته، فبقي آخذاً عن الأستاذين المشار إليهما أربع سنوات.

ثم أخذ يتنقل في البلدان لتحصيل العلم حتى استقر به المقام في النجف الأشرف سنة ١٢٤٩ أيام رياسة الشيخ علي ابن الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء وصاحب الجواهر، والأول أوجههما فاختلف إلى مدرسته عدة أشهر ثم انفرد واستقل بالتدريس والتأليف، واختلف إليه الطلاب ووضع أساس علم الأصول الحديث عند الشيعة وطريقته الشهيرة المعروفة، إلى أن انتهت إليه رئاسة الإمامية فكان مرجعاً للشيعة قاطبة في دينهم ودنياهم في شرق الأرض وغربها بعد وفاة الشيخين السابقين، وهو أحق بها إذ لا يباريه أحد في التقى وكثرة الصلاة والعلم أصولاً وفروعاً والعمل وحسن الأخلاق.

له كتب في الأصول والفقه تدهش الواقف عليها وعلى ما فيها من الدقائق العجيبة والتحقيقات الغريبة مع لزوم الجادة المستقيمة والسليقة المعتدلة. واشتهر أمره في الآفاق . وصار لكتبه الفضل في تكوين النهضة العلمية الأخيرة في النجف الأشرف.

وكان يملي دروسه في الفقه والأصول صباحًا ومساءً في الجامع الهندي على العلماء الطلاب، وقد تخرج به أكثر

الفحول من بعده مثل الميرزا الشيرازي وغيره من كبار العلماء ، وكان الشيخ من الحفاظ جمع بين قوة الذاكرة وقوة الفكر والذهن وجودة الرأي، حاضر الجواب لا يعييه حل مشكلة ولا جواب.

لقد اكتسبت مصنفاته حظاً عظيماً، فرسائله ومكاسبه مضافاً إلى أن عليها مدار التدريس شذ من لم يعلق عليها من مشاهير العلماء بعده، وكل حواشيهم مشهورة مطبوعة، وممن علق على المكاسب السيد كاظم اليزدي والشيخ أغا رضا الهمداني ، وعاش عيشة الفقراء والمعدمين مبادراً في إنفاق كل ما يجلب إليه على المحتاجين من الإمامية في السر خصوصاً، لا يريد في ذلك إلا وجه الله حتى لم يبق لوارثه، شيء قط .

وكان الشيخ رحمه الله ضعيف البصر ولم يعقب سوى بنتين توفيتا بعده بيسير، توفي الشيخ الأنصاري في١٨ جمادي الآخرة سنة ١٢٨٠ هـ . فأقيمت له المآتم في ديار الإمامية كلها ورثي من شعراء عصره بعدة لغات.

مختصر ترجمة الشيخ الأنصاري
نقلاً عن مقدمة التحقيق لكتابه (التقية)

الشيخ علي حيدر.. فكر معطاء
(١٣٢٨ - ١٣٨٧هـ)

مسلم عقيل الشاوي •

هو الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن الشيخ محمد علي بن حيدر وأسرته آل حيدر من الأسر العلمية المعروفة بعروبتها والمشهورة بفخرها (وهم بقية بني وثال زعماء آل أجود حلفاء المنتفك)[١].

ينابيع

فلأسرته اليد الطولى في العلم والأدب ولها ماضيها المشرِّف في الجهاد، والحق يقال ما كان للحركة الأدبية أن تنهض في سوق الشيوخ لولا وجود هذه الأسرة التي توارثت حمل راية نشر الدين والأدب، ففي وسط هذا الجو المملوء بحب العلم والمعرفة ولد الشيخ علي آل حيدر في عام ١٣٢٨هـ - ١٩٠٧م بمدينة السماوة في العراق، تحديدًا في قضاء الخضر[٢] إذ كان أبوه عالمًا جليلًا نال درجة عالية من العلم والفقه في الدين أهلته لأن يكون عالم مدينة الخضر وداعيتها[٣]، وقيل في عام ١٩٠٢م في سوق الشيخ، كما قال الشيخ جميل آل حيدر في كتابه (موجز مختصر تاريخ آل حيدر)، له من الأشقّاء كان لهم من الشأن الكبير وهم الشيخ طالب آل حيدر، والشيخ أسد حيدر، والحاج منصور رحمهم الله.

عاش الشيخ منذ بداية حياته اليتم إذ توفي والده في عام ١٣٣٣هـ عند رجوعه من معركة الشعيبة في مواجهة الانكليز[٤] فلم يتمتع بعاطفة الأب ولم يذق طعم حنانه إلا لسنوات قليلة، وقد رافق هذا الحرمان الفقر الشديد إلا أنهما جعلاه

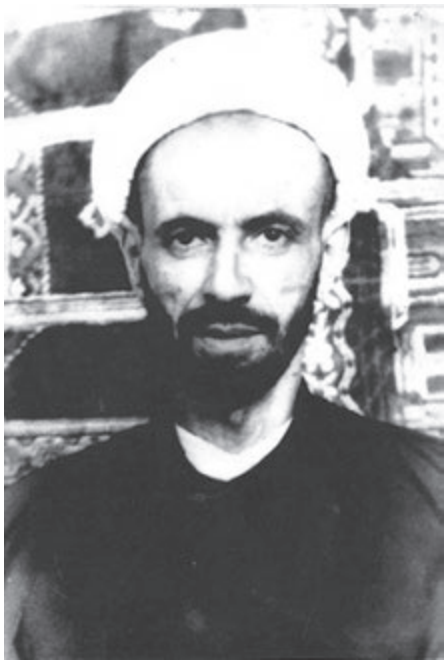

يرسم منهاج حياته مبكرًا على الرغم من اشتداد المحن، وصعوبة الظروف تترك آثارًا سلبية في نفس الإنسان كما يقول علماء النفس إلا أنه شق طريقه نحو الهدف الذي سعى إليه، فواجه كل الظروف التي واجهته، فقد أخذ من رسول اللهﷺ قدوته وأسوته الحسنة (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**) (الأحزاب: ٢١) في بناء شخصيته، فالرسولﷺ عاش قبله هذا الحرمان فأخذ يستلهم منهﷺ العلم والأدب والفضيلة والشجاعة.

توجه منذ بداية حياته إلى الكتاتيب الموجودة في مدينته، تعلم القراءة والكتابة، وبعد وفاة والده انتقل إلى النجف الأشرف، كان مشغوفًا بالقراءة والمطالعة وكان سريعًا في التعلم، الذي أهلَّه لأن يكون له الباع الطويل في الكثير من العلوم القديمة والحديثة. درس بعض العلوم الرياضية والعربية والفقه والأصول على يد جماعة من العلماء منهم الشيخ جعفر محبوبة والشيخ يحيى الجواهري والشيخ عبد الأمير البصري[٥].

قصد ناحية (قضاء) المدينة في البصرة لزيارة أقاربه فشاءت له المقادير أن يقيم فيها حتى وفاته، كان فيها مثابرًا على نشر الفضيلة والتعاليم الدينية والفقهية،كذلك تصديه للمواكب الحسينية من خلال قصائده التي نظمها والنابعة من عقيدته

بحب الآل عليهم السلام، مما حدا بأهالي قضاء (المدينة) إلى التقدم بطلب إلى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء قدس سره بأن يكون في القضاء وكيلًا عنه الشيخ علي آل حيدر، وكان حينها معقلاً (يرتدي العقال) فاستدعاه الشيخ كاشف الغطاء ليوجه له أسئلة فقهية وغيرها والشيخ يجيب، حينها أمره الشيخ كاشف الغطاء بخلع (العقال) وألبسه بيده الكريمة العمامة، وقال له اذهب فأنت وكيلي هناك.

وعندما وافت الشيخ آل كاشف الغطاء قدس سره المنية أصبح الشيخ علي آل حيدر وكيلًا للسيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره، وبعدها أصبح وكيلًا للسيد محسن الحكيم قدس سره، ولم يقف الشيخ رحمه الله في الدعوة إلى نشر الفكر الإسلامي والإصلاح الديني والثقافي والسياسي، بل وقف في محاربة المد الشيوعي، وكان كالأسد لا يثبت أحدٌ أمام فكره، فأخذوا يحاربونه بكل الأساليب. كذلك وقف كالصادح المحكي في وجه البعث في بدايات تأسيسه حتى قيل له: ما تقول في البعث؟ فأجابهم: (إنما البعثي والشيوعي إخوانا كلاهما كفر وإلحاد)، كساه الله رداء العفة والفضيلة والشرف الرفيع، حتى وصل إلى مرحلة باع فيها سجادة صلاته لأجل إطعام عائلته.

كان زاهدًا عابدًا يقوم بأعماله بنفسه، فقد حرص على أن لا يكلف أحدًا في أعماله، بل كان يقوم بخدمة نفسه بنفسه حتى في التفاصيل الصغيرة، وكان يبادر الأحبة والأصدقاء والأقارب في مواصلتهم والزيارات المستمرة لهم في الأعياد والأيام العادية، واطلعت على رسائل العيد من أحبته ردًّا على رسائل لهم، أذكر منها أبياتًا للشيخ الشهيد محمد حيدر وهي:

رسول العيد قد ملك الزمانا
ففجر في فمي كبدي غراما
أضعت الرشد مذ وافت إليه
بطاقتكم فلم أطق الكلاما
وحسبي ـ أبا حسن ـ ضمير
على كفيك قد شرب الغماما

كان رحمه الله يجالس الجميع ويحضر وينظم جميع المناسبات الدينية فأحبه الجميع، وكان الجميع مستعدًا للتضحية عنه. فكان اجتماعيًا يألف الناس ويألفونه.

كما أسهم الشيخ علي آل حيدر في بناء المساجد والجوامع في قضاء المدينة اذكر منها جامع القبلة الذي أرخ بناءه بهذه الأبيات:

نفحت فينا يا زكي النسمات
نفحة طيبة من آل عات
يا أهل بيت صلحت أعمالهم
فحظوا بالباقيات الصالحات
شيدوا ما كان في تشيده
قام إبراهيم في هذا الجهات
عرصات لجمى الله علت
شرفا فطوبى لها من عرصات
فسمى تاريخها مجدا به
صارت حيث مسجدا للصلوات

كما كان المؤسس والمتولي لمكتبة السيد الحكيم قدس سره فرع المدَيْنة التي غرس بذرتها الأولى السيد الحكيم قدس سره في النجف عام١٩٥٧م، التي كانت في محل صغير، بعدها خصصت أرض للمكتبة، وعند البناء دفن الشيخ صورته وصورة السيد الحكيم وكذلك دفن أبياتًا من الشعر في الأساس وهي:

دفنت مثالي قبل موتي هاهنا
وإني لأعلم في التراب سأدفن
وجاورني في القبر تمثال محسن
فإني المسيء والمجاور محسن

وهي الآن أعيدت وتحتوي على أكثر من ثلاثة آلاف كتاب، وقد كان يعتني في كثير من الأمور، أذكر منها حول الحياة الزوجية، والذي أكد فيه أن التشابه في الصفات هي أساس الحياة الزوجية، ففي مخطوطه وجدتها بخطه يقول فيها:

والسر في ذلك أن الوجود لا تلازم إلا بالتناسب ولا اتحاد إلا بصفات متناسبة، فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء، هكذا كرة الهواء وكرة النسيم، فكل جزء من أجزاء هذه المواد لاحقة بشكلها مطيعة لمجموعتها ذلك للتناسب والتشابه في الصفات، ثم يبدأ مستنتجًا بقوله هكذا أخلاق الناس، فإنه متى تشاكلت صفاتهم اتفقوا، وإذا اختلفت تفرقوا، ومنهم الزوج والزوجة، فيستدرك ،لأن المراد من الزوجين دوام الحياة الزوجية السعيدة ولتتم هذه السعادة إلا بتناسب الصفات فإذا تشابهت أخلاقهما حصل بينهما الاتفاق وإذا اختلفت وقعت بينهما الفرق ولا حياة سعيدة للرجل الصالح مع امرأة السوء كما لا سعادة للمرأة الصالحة مع رجل السوء فلا تتم السعادة للزوجين إلا بتناسب الصفات وتشابه الأخلاق، فإذا حصل ذلك تم الاتفاق وإذا اختلفت أخلاقهما اختلفا، ولا يزال النزاع بينهما حتى يقع الفراق، وفي ذلك قال الشاعر:

إن الطيور على أمثالها تقع.

ترك الشيخ (رحمه الله) مؤلفات عديدة لم يطبع منها شيء لحد الآن علما أن هذه المؤلفات لو طبعت لكان لها شأن كبير، ومن أبرز مؤلفاته:

١ـ منتخب الروايات في تفسير مغلق الآيات (قيد التحقيق).

٢ـ الرد على أن النبي لا يقدر على القراءة والكتابة (سمعت عنه وقرأته في ديوان شعراء الحسين عليه السلام يروى أنه مطبوع).

٣ـ جغرافية المدينة (سمعت عنه وقرأته في ديوان شعراء الحسين عليه السلام).

٤ـ السؤال والجواب في حل مشكلات الكتاب (أملك منه فقط ورقتين بخطه).

٥ـ ديوان شعر (أملك منه بعض القصائد الحسينية، وكذلك الهزلية السياسية وموشحة ألقيت في بعض الحفلات التي أقيمت ليوم الغدير في ناحية (قضاء) المدينة عام ١٣٦٥ هجري) وغيرها من المؤلفات التي قد تلفت وأخرى سرقت بسبب الإهمال.

توفي في محراب صلاته في سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م فترك حسرة في القلوب إلى الآن يسمع جواها. رثاه العلماء قبل الشعراء وبكته الرجال قبل النساء، فمن جملة من رثاه الحاج عودة عبد الصاحب الشاوي في قصيدة من مطلعها:

حـــك نبجي ونزيـــد النوح
دار العلـــم حزنانـــه
لكينـــه مشـــيدة الأعـــلام
ســـود ببـــاب ديوانـــه

وكذلك قصيدة للشهيد محمد آل حيدر عنوانها (يا غارس المجد).

فسلام عليك أبا محمد حسن يوم ولدت ويوم توفيت ويوم تبعث حيًّا ■

---

(١) ماضي النجف وحاضرها جعفر محبوبة ١٩٢\٢
نقلا من ديوان الشهيد محمد ال حيدر ص٣٩ .
(٢) ديوان شعراء الحسين عليه السلام ص١٣٤.
(٣) مشاهير المدفونين ص٣٨٥.
(٤) نفس المصدر.
(٥) ديوان شعراء الحسين عليه السلام ص١٣٤.

العلامة الشيخ عبد الحسين صادق المخزومي (١٢٧٩ - ١٣٦١هـ)

د. مجيد حميد الحدراوي •
الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف

عالم فاضل وأديب بارع، أحد رؤساء بلاده في الدين وأحد المراجع البارزين في جبل عامل ينتمي لأسرة علمية دينية توارثت العلم والأدب، والده العالم الفاضل والمحقق الأديب الشيخ إبراهيم صادق بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سليمان بن نجم المخزومي العاملي، وكان والد المترجم له قد أقام في النجف مدة ذاع صيته في أثنائها واشتهر بأدبه وشعره في مجالسها.

ينابيع ولادته وتعليمه:

ولد الشيخ عبد الحسين صادق في مدينة النجف الأشرف حيث كان يقيم أبوه وذلك في أواخر صفر من سنة ١٢٧٩هـ / آب ١٨٦٢م، توفيت والدته وهي عائدة به مع أفراد الأسرة من العراق إلى موطنه في جبل عامل للالتحاق بوالده الشيخ إبراهيم الذي سبقهم إليه، وأقام في بلدة الخيام عالمًا دينيًا، فأرضعته زوجة أبيه وعاش في كنف والده ورعايته، ولما بلغ الخامسة من عمره فَقَدَ والده، فاحتضنته شقيقته الكبرى وكانت من فضليات النساء، وتعلم في سنوات عمره الأولى في بلدة الخيام موطن آبائه، ثم ارتحل إلى مجدل سلم ثم إلى عيثا فكفرة فبنت جبيل، حيث درس على أساتذة الحوزات العلمية في تلك القرى العلوم الأولية من

نحو وصرف ومنطق ومعان وبيان وكتاب المعالم من أصول الفقه، وكان من أبرز أساتذته في هذه المرحلة العلامة الشيخ مهدي شمس الدين، والعلامة السيد جواد مرتضى والعلامة الشيخ موسى شرارة، ثم هاجر إلى العراق في أول رجب سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، حيث قصد النجف الأشرف التي وصلها في السابع عشر من شهر رمضان، فانتظم في صفوف حوزاتها العلمية يتلقى علومه عن أكابر الأساتذة المشهورين في ذلك العصر، فبدأ دراسته بمرحلة السطوح على عدة أساتذة منهم السيد عبد الكريم البغدادي والسيد علي البحراني والشيخ محمود ذهب والشيخ علي الخاقاني، ثم تابع دراسته في مرحلة البحث الخارج فأوصله ذلك إلى مرتبة الاجتهاد على أساطين علماء المذهب الجعفري وقتذاك وهم الشيخ محمد طه نجف والشيخ محمد حسين الكاظمي والميرزا حسين الخليل والشيخ رضا الهمداني والفاضلان الشربياني والمامقاني قدس الله أسرارهم، وقد نال من أولئك الأعلام إجازة الاجتهاد كما أنه أجيز من المرجع الأكبر الميرزا حسن الشيرازي.

وقد أقام الشيخ عبد الحسين صادق مدة ستة عشر عاما (١٣٠٠-١٣١٦هـ) للدراسة في النجف الأشرف حاز خلالها على ثقة العلماء والفضلاء وصار له منزلة عالية بين أبناء المدينة المقدسة، حيث انعقدت صلات وثيقة وأخوة صافية بينه وبين الكثير من مختلف فئات المجتمع النجفي، وقد أشارت موسوعات التراجم والكتب الأدبية التي صدرت في العراق

إلى ما أحرزه الشيخ عبد الحسين صادق من منزلة في نفوس النجفيين لعل أبرزها كتاب الشيخ جعفر محبوبة (ماضي النجف وحاضرها)، والشيخ الخاقاني في كتابه (شعراء الغري) والأميني في كتابه (رجال الفكر والأدب) خلال ألف عام والشيخ الطهراني في موسوعته (الذريعة) وغيرها.

وكان الشيخ عبد الحسين صادق قد أحب العيش في النجف الأشرف وعز عليه فراقها وقد ترجم هذه المشاعر في خاتمة قصيدة نجفية نظمها قبيل مغادرته النجف إلى جبل عامل جاء فيها:

أحين راقت ليالي العمر فيك هنَاً
والعيش طاب جناه والزمان صفا
عليَّ جائرةُ الأيام قد حكمت
أن لا أقيم ولا أستوطن النجفا
يا جيرة المرتضى سقيًا لربعكم
مازمجرالرعدأوصوبالحياوكفا

عودته إلى جبل عامل:

غادر المترجم له النجف متوجهًا إلى موطن آبائه في جبل عامل في عام ١٣١٦هـ/ أيلول ١٨٩٨م فأقام في بلدة الخيام فأصبح عالمها الديني وباشر بمهامه في الوعظ والإرشاد، وعمل على نشر الثقافة الإسلامية بين أبنائها، فافتتح لهذه الغاية مدرسة دينية باشر فيها التعليم بنفسه، فأسهمت تلك المدرسة في تأهيل عدد من تلاميذها للدراسة في النجف الأشرف فضلًا عن مساعدتها لكثير من أبناء جبل عامل في التخلص من الجندية في الجيش العثماني، حيث كان يعفى طلبة المدارس الدينية من الخدمة في ذلك الجيش، واستكمل الشيخ أعماله في نشر الوعي الإسلامي بإنشاء مسجد الخيام الكبير ومساجد أخرى في بعض القرى المجاورة.

انتقاله إلى النبطية: يعد انتقال الشيخ عبد الحسين صادق إلى النبطية بدعوة من أعيانها مرحلة متقدمة في نشاطه الديني لأن النبطية كانت تمثل حاضرة جبل عامل، وقد انتقل إليها بعد وفاة عالمها السيد حسن يوسف مكي سنة ١٩٠٦م، فبادر إلى توسيع مسجدها وإعادة فتح مدرسة النبطية التي أنشأها السيد حسن يوسف مكي فتولى رئاستها والتدريس فيها، إضافة لذلك أولى الشيخ عبد الحسين صادق اهتمامًا خاصًا بإنشاء النادي الحسيني في النبطية حيث اكتمل بناؤه في سنة ١٩٠٩م وقد عرف باسم الحسينية وكانت أول حسينية تنشأ في لبنان وأقيم فيها مراسم العزاء الحسيني في شهري المحرم وصفر من كل عام.

دافع الشيخ عبد الحسين صادق بقوة عن الشعائر الحسينية وقد كتب في هذا الشأن رسالة حملت عنوان (سيماء الصلحاء) في إقامة عزاء سيد الشهداء الحسين عليه السلام، ولم يكتفِ بذلك بل جادت قريحته الشعرية بالكثير من القصائد التي وظفها لهذا الغرض، وتذكر صابرينا ميرفان مؤلفة كتاب (حركة الإصلاح الشيعي) أن قوافي عبد الحسين صادق التي يؤكد فيها أهمية الاستمرار بإقامة الشعائر الحسينية ما زالت على ألسنة الشيعة في جبل عامل.

آثاره العلمية والأدبية: ترك الشيخ عبد الحسين صادق تصانيف ومؤلفات شتى في الفقه والأصول ومباحث علم الكلام وغيرها جاء منها في الفقه كتاب (المواهب السنية في فقه الإمامية) مطبوع وهو شرح لقوانين الأصول، ومثله

(الشذرات في مباحث العقود والإيقاع)، وتقريرات أستاذه المرحوم الميرزا حسين الخليل في مباحث الإجارة والوصية والقضاء، ومنظومة في المواريث وأخرى في التوحيد وثالثة في الرد على الوهابية حملت عنوان(تنبيه الرافضين على فظائع الوهابيين) وغيرها.

نشاطه السياسي:

لم يكن الشيخ عبد الحسين صادق بعيدًا عن السياسة وهمومها فقد واكب الأحداث الكبيرة التي عانى منها العرب عامة وأبناء جبل عامل خاصة، فقد رفض إقدام السلطات الفرنسية المحتلة على اقتطاع جبل عامل من البلاد السورية وإلحاقه بجبل لبنان وتشكيل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠م إذ أصبح فيه أبناء الطائفة الشيعية عرضة لسياسات التهميش والاستعلاء والاستغلال التي اعتمدها حيالهم حكام لبنان على تعاقب العهود، ونستشهد بأبيات شعرية عبر فيها الشيخ عن مواقفه تلك جاء فيها:

ألا قل للبنان وهو الصغير
وفي عامل لم يزل يرضع
أتيت بها أي أعجوبة
بها جبل جبلا يبلع
الست وعاملة توأمين
يضمكما الحسب الاضوع؟!
فما لي أراك أبحت الجوار
ومن سُنة العُرْبِ أن يمنعوا؟!

وفاته:

بعد رحلة استمرت قرابة السبعة عقود ونصف وافت المنية الشيخ عبد الحسين صادق في النبطية بتاريخ ١٠ كانون الأول ١٩٤٢م/ ١٣٦١هـ، ودفن في حجرة خاصة في حسينية النبطية التي أنشأها المترجم له، وكان (رحمه اللّٰه) حتى قبيل وفاته يحلم بالعودة إلى النجف الأشرف مسقط رأسه، حيث كنى نفسه في إحدى مخطوطاته التي ترجم فيها لنفسه بـ (الغروي) (مولدًا ودار إقامة ووطنًا إن شاء اللّٰه إلى يوم القيامة)، وقد دفعه حنينه إلى النجف الأشرف أن يوصي ابنه الشيخ حسن أن ينقل جثمانه ولو رميمًا إلى النجف الأشرف لكي يدفن إلى جوار ضريح أبي الأئمة الامام علي عليه السلام وقد جاءت تلك الوصية على شكل أبيات من الشعر هذا نصها:

صبرًا بني أبا النجيب ولا تكن
جزعًا لفقد أبيك، واستغفر له
وإذا به نزل القضاء المحتوم عـ
ـجل يا بني إلى المدافن نقله
وإذا استطعت ولو رميما نقلـ
ـه لأبي الأيمة لا تؤخر نقله ■

لمزيد من التفاصيل عن سيرة الشيخ عبد الحسين صادق ينظر:

* عبد الحسين صادق/سقط المتاع / جمع وتحقيق وتقديم: حبيب صادق/ بيروت: مؤسسة الانتشار العربي /٢٠٠٧.
* صابرينا ميرفان/ حركة الإصلاح الشيعي/ترجمة: هيثم الأمين / ط٢/ بيروت: دار النهار/٢٠٠٨ / ص٥٢٢.
* السيد حسن الصدر/ تكملة أمل الآمل/ تحقيق: احمد الحسيني/ بيروت: دار الأضواء/ ١٩٨٦/ ص٧٣/٢٥٤.
* دليل جنوب لبنان كتابا/ إشراف وتحقيق وتقديم: حبيب صادق/ بيروت: المجلس الثقافي للبنان الجنوبي/٢٠١٠/ص٢٧٩.

دور القدوة الحسنة..

في الخلاص من التبعية العمياء

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي •
أستاذ في الحوزة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]

ينابيع

الأسوة: هو المثل والقدوة، وهو ما يؤنس إليه ويقتدى به، والاقتداء: هو السير على سنن من يتخذ قدوة، أي: مثالاً للاقتداء. وائتسى فلان بفلان أي: حذى حذوه ونهج نهجه في قول أو عمل أو عقيدة، والقوم أسوة في هذا الأمر، أي: أن حالهم فيه واحدة.

والأسوة ـ بالضم والكسر ـ ما يتأسى به الحزين، أي: يتعزى به، ثم سمي الحزن أسى بما فيه من الصبر والتأسي.

ويطرح القرآن الكريم للأمة أسوتها في الإيمان والقوة والحركة والصبر والتضحية، وهو الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله لأنه القمة في كل ما تتطلبه حياة الأمة، وما يحتاجه وجودها من معاني القوة.

وهناك اختلاف في كون الأسوة برسول الله صلى الله عليه وآله واجبة أم مستحبة، فهناك من حملها على الاستحباب في أمور الدنيا.

ولا طائل تحت هذا القول أو ذاك، بل علينا أن نعرف أنّ الله تعالى عندما اختار نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله لرسالته، وكتب لكلمته القوة والنفوذ والبقاء والخلود، أمر

البشرية بالطاعة فقال تعالى: (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)[٢].

حيث أناط به عزّ وجلّ مهمة التربية والإعداد للأمة، إعدادًا يتناسب مع حجم المسؤولية التي ألقيت عليها.

فكان التأسي والاقتداء برسول اللهﷺ من المستلزمات الأساسية ومن صميم هذه المسؤولية، التي على الأمة أن تتبع فيها كلّ ما لديه من نقاط القوة والتأثير، وأن تتعلم من خلالهﷺ دينها أحكامًا، وأخلاقًا، ومبادئ عامة للتربية.

لأنه طبيبها الحاذق الدائم، الذي يصاحبها ولا يفارقها في كلّ قضية من قضاياها، ويحمل لها البلسم الشافي لعلاج أدوائها (**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**)[٣].

وقد وصفه الإمام أمير المؤمنينعليه السلام بقوله: (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ـ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ـ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ ـ وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ ـ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ـ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ)[٤].

وسئلت إحدى نساء النبيﷺ عن خلقه، فأجابت كان خُلُقُهُ القرآن، وهي إجابة شاملة مختصرة، تؤكد أن رسول اللهﷺ هو ترجمة حية لروح القرآن وحقائقه.

ولما كان القرآن الكريم قوة كونية عظمى تتكامل في النواميس والقوى،

وتلتقي السماء والأرض أروع لقاء شهده الكون والحياة، وتتكامل بهداه البشرية (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**)[٥].

فلا عجب في أن يكون رسول اللهﷺ قدوة للعالمين وللأمة في مسيرتها التأريخية الطويلة.

لذا عليها أن تقرأ فيه كلّ معالم هذه الهداية، وأن تقتبس من نور إنسانيته قبسًا تستطيع أن تتحرّك به في خط العمل، وتبدّد به ظلمات هذه الحياة، وأن تتنسم من أنفاسه عبقة تستطيع أن تملأ منها الوجود بالرحمة والحب.

في الوقت الذي لا يستطيع أحد في الدنيا أن يعطي هذه الحياة، ولو جزءًا يسيرًا مما أعطاه رسول اللهﷺ، هو الوحيد الذي يبقى يعطي الأمّة الكثير الكثير من إيحاءات رسالته الفكرية والرّوحية والإنسانية.

وقد يقال: كيف نتوصل إلى القدوة؟ أليس من الضروري أن يكون القدوة مثلًا بيننا ليتسنى لنا الاقتداء به كما اقتدى به الرّعيل الأول من المسلمين؟ كيف ونحن لا نملك إلا أحداثًا و ذكريات للقادة القدوات؟.

أقول: بما أنّ كلّ شعب من الشعوب، وكلّ أمّة من الأُمم، كما تعتز وتفخر برموزها، فإنها تعتز وتفخر بأحداث تأريخها، لأنها منبع قيمها وأخلاقها ومبادئها.

لذا إننا كأيّ أمّة من الأمم والشعوب، نشترك معها في القضية الكبرى، ونفترق عنها في تحديد الصغرى.

لأننا نرى أنّ الاعتزاز والفخر لا بأي ذكرى من الذكريات أو حدث من الأحداث، بل متى اجتمعت في تلكم الذكريات أو الأحداث شروط معينة، يمكن أن نسميها عناصر الاستفادة وهي:

١ـ ضخامة الذكرى وعظمة تأريخها وأحداثها وعمق أحداثها.

٢ـ عظمة بطلها ورائدها، لأنه هو الذي يصنع بتأريخها ويمنحها العمق، ويزودها بالعطاء، ويهبها حُلَّة زاهية من المجد والسؤدد والعز.

٣ـ التفاعل معها، والتناغم مع معطياتها، وانتظام معانيها مع أفكار ومشاعر وأحاسيس روّادها وعشاقها الذين يحيونها ويرعون تأريخها.

فمتى اجتمعت هذه الشروط لأيّة ذكرى تعيشها الأمة، وتحتضن مشاعرها، فسوف تتحول تلك الذكرى إلى ثمار ونتائج إيجابية وإبداع في واقعها. بل إلى قرارات ومواقف تتجاوز الكلمات والعبارات، وإلى منجزات وبطولات تتحدى المخاوف وتزدري بالمثبطات.

وحيث إنّ لرسول الله محمدﷺ ذكرى (مولدًا ومبعثًا وإسراءً) وغيرها ممّا له ولأهل بيته من الذكريات، التي ما برح وسيبقى يرويها التأريخ وتتناغم معها الأمّة، لأنها تعتقد أنّ أبطالها هم الرجال

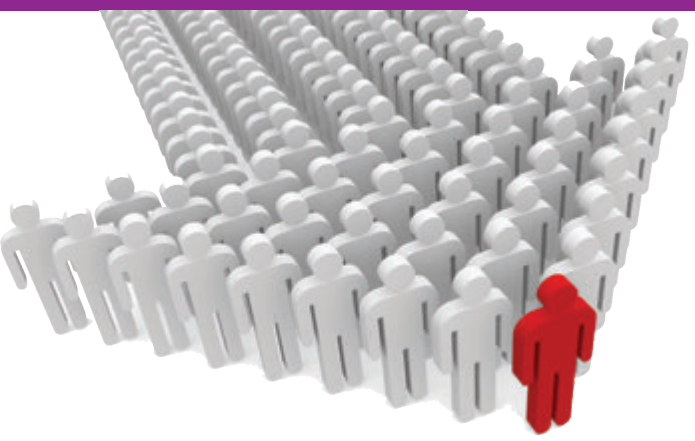

كلّ الرجال، الذين ملأوا الحياة ثراءً، وألبسوها بهاءً، ووهبوها ضياءً.

فإنّ باستطاعة الأمة أنْ تستمد من هذه الذكريات ظلها الوارف الأمين، وسورها المحكم المتين، وقولها الصادق المبين، لأنّ أبطالها هم أصحاب القرار الثابت والموقف الجريء، الذي تحدوا به الأهوال والمخاوف، وازدروا بالدنيا والزخارف، من أجل إرساء ما اعتقدوا وآمنوا به من مبادئ وقيم رسالتهم الخالدة.

وأن تستذكر ما كان رسول اللهﷺ يقول لعمه أبي طالبعليه السلام: (يا عمّ ، واللهِ لَوْ وُضِعَت الشمسُ في يميني والقَمَرُ في شمالي ما تَرَكْتُ هذا القولَ حتّى أُنْفِذَهُ أو أُقْتَلَ دُونَه)[٦].

فهكذا تحتاج الأمة أن تستلهم من رسول اللهﷺ ومن أهل بيتهعليهم السلام ومن تأريخهم المعطاء مواقف يشد بعضها بعضًا،وهي الإيمان والمعرفة والحكمة والجرأة والإيثار والفدائية، لتستفيد منها في مواقفها في ميدان الصراع الذي فيه الحق هو الحق، والباطل هو الباطل، والأعداء هم الأعداء.

لأنّ في ساحة الصراع بين الحق والباطل - وإن تغيرت الوجوه والأزياء والمراكب والأسلحة والمعدات والمطاعم والمشارب - فإنه لم تتغير الهوية والعقيدة والفكرة لأهل الباطل، لأنّ الكفر ملة واحدة من ماضي التأريخ وحاضره.

لذا ينبغي أن يكون موقف الأمّة واحدًا في ماضي التأريخ وفي حاضره، منسجمًا مع عقيدتها ورسالتها في الحياة، تجاه التحديات؟.

قال تعالى: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**)[٧].

(**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**) حيث تجتمع الشدة والرحمة في ذات الإنسان المؤمن بحكم الموقف الذي يملي عليه، ويقضي متى يقسو ومتى يرحم.

أمّا الشدة: ففي لحظة التحدّي، وفي ميدان المواجهة بقوة الفكر والإيمان والموقف ضد العدو المشترك الذي يسعى إلى إسقاط هيبة الإسلام، وحرف الأمة عن خطه.

وأمّا الرّحمة: فهي رحمة بكل نقاط الضعف التي تعاني منها الأمة، رحمة بالفكر الضعيف لتهبه قوة المعرفة والوعي، ورحمة بالمخطئ لتلهمه الصواب فيما يفكر ويقول ويعمل، ورحمة بالجاهل الضائع عن الطريق فتلقي إليه شعلة الضوء لتدله على الطريق.

ففي نوادر الراوندي عن عليعليه السلام قال: لما بعثني رسول اللهﷺ إلى اليمن

قال: (يا علي لا تقاتل أحدًا حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلًا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولك ولاؤه)[٨].

هذا مما يفيض به تاريخ الرسالة والرسول على الأمة، لتحول الحياة إلى مهبط للنعيم الدائم، والسلامة والمحبة (**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا**).

لأنّ خط الالتحام بقوة السماء، والارتباط بالله عزّ وجل، هو خط الانطلاق إلى ربوع الحياة، وهو الخط الذي تستمد منه القوة والرّحمة، إلى صميم هذه الأمة، وهو الخط الذي يوجه الأمّة في كلّ مواقفها، ويعلمها ما هو موقع الشدة وما هو موقع الرحمة.

ومن هنا، فإنّ علينا أن ندرك قبل كل شيء في تعاملنا مع ذكرى مولد رسول اللهﷺ ومع تاريخه الخالد، أنّ علينا أن نعي حقيقتين لهما الأثر الكبير في حياتنا ونشاطنا:

الأولى: أن ندرك حاجتنا إلى الأسوة: علينا أن نقارن بين الصورة المظلمة الكئيبة، التي كانت قد ألقت بظلالها وضلالها على المجتمع قبل ظهور النبيﷺ، وبين الصورة المنيرة المشرقة التي رسمها الإسلام للبشرية كافة، إذ كان مولدهﷺ وبعثته للحياة مولدًا جديدًا للإنسانية، ومشرقًا لسعادتها ومجدها وعزتها.

ومن خلال هذه المقارنة نعلم أنّ حياته النبيلة وسيرته الجليلة، هي صفحة من نور الفضيلة، ومن طهر الذات وكمال الصفات التي فرضت سلطانها على كل مناحي الحياة، لذلك فهي المنار لكلّ ظلمة من ظلمات الأفكار والمفاهيم والسلوك، والقبس السماوي الذي يهتدي به المدلج المتحير في مجاهل الطرق.

ولكن علينا أن نعلم ما هو السر في ضعفنا؟، إنّ الضعف في نهضة الأمة اليوم، يتمثل في افتقارها وحاجتها إلى القدوة في تكوين القدوة، حاجتها إلى هذا المثل الذي يبدل فيها الجهل بالعلم، والشك باليقين، والظلمة بالنور، واليأس بالأمل، ويطهر وجدانها عن طغيان النوازع والمطامع الفردية، بخلوص القصد وصفاء النية في العمل لوجه الله عزّ وجل.

وذلك: أنّ بعضنا، قد بلغ بهم اليأس بحيث لا يؤمنون بانجلاء هذه الغاشية التي غشيت المجتمع المسلم إلا بمعجزة من السماء، وبلغ بهم الاعتقاد بضعف أنفسهم، والإيمان بقوة الغرب والإمكانيات المادية، درجة القنوط واليأس من الإمكانيات التي بمقدور هذه الرسالة أن تمنحها لهم.

في الوقت الذي علينا أن نؤمن أنّ الرسولﷺ، بما يحمل من نور الرسالة هو منبع عناية السماء للمسلمين، ولكن بشرط أن يتجرّد المسلمون لله وحده، ويسلكوا الخط الأمثل للاستقامة على الطريقة، وأن يؤمنوا بالملازمة بين الاستقامة على الخط اللاحب للرسالة، وبين العناية الربانية.

قال تعالى: (**وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى**

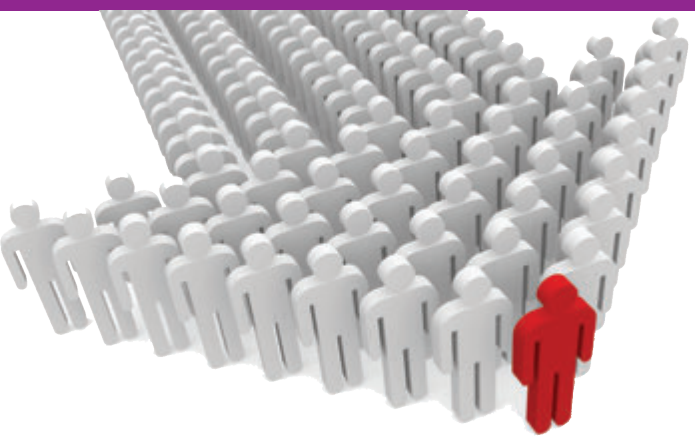

الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا)[٩].

وقال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**[١٠].

إذن، يحتاج المسلمون في ضمان استقلالهم وعزتهم وقوتهم، وفي تبليغ رسالتهم وحضارتهم للعالم، إلى وسيلة طبيعية يألفها ويتجاوب معها المزاج الإنساني، وهذه الوسيلة تتمثل في أمرين:

أولا: الإيمان النابع عن القناعة والرضا بهذه الرسالة، والذي يهدي إلى صواب الفكرة وسداد القول وحكمة الموقف، ولا أعتقد أنّ أمة تمتلك ما تمتلكه أمة الرسالة من هذه الوسيلة.

ثانيا: القدوة الصالحة التي تصاحب الإنسان المسلم في حركته ونشاطه في كل المجالات، فينظر من خلالها الصورة الواقعية لهذه الرسالة بكافة صفاتها وخصالها وقيمها ومفاهيمها وأخلاقها ومواقفها، ولا أعتقد أنّ أمة حظيت بما حظيت به أمة الرسالة من مثل أعلى للقدوة كرسول اللّه صلى الله عليه وآله.

الثانية: أن ندرك أثر السيرة في التربية: إنّ من أنجح الطرق ذات الأثر التربوي في الأمة، كون المربي قدوة بأخلاقه وأعماله وسلوكه، ممتثلًا لما يؤمر به، ومجتنبًا لما ينهى عنه وكما حكى القرآن قول النبي شعيب عليه السلام من قبل لقومه: **(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)**[١١].

إنّ الإنسان الرسالي، والمعلم الصالح المصلح، ينطلق في ساحة الإصلاح والتغيير من خلال منطلقين:

١- منطلق البيان والقول الصادق الذي يوجه ويحرّك أفكار الناس ويناغم مشاعرهم، ليهديهم للتي هي أقوم.

٢- منطلق الفعل والسيرة العملية التي تعكس المفاهيم والمبادئ والقيم التي تتفاعل في أعماق الناس وتصوراتهم.

لذا ما كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد أخذ لقب الأسوة الحسنة إلا بعد أن كان متمتعًا بوصفها على أكمل الوجوه وأرقاها، حيث أدّبه ربه فأحسن تأديبه، وانتزع القدوة من سيرته العملية.

لذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (مَنْ نَصَبَ نَفْسَه للنَّاس إمَاماً فَلْيَبْدَأْ بتَعْليم نَفْسه قَبْلَ تَعْليم غَيْره وَلْيَكُنْ تَأْديبُه بسيرَته قَبْلَ تَأْديبه بلسَانه ومُعَلِّمُ نَفْسه ومُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بالإجْلَال منْ مُعَلِّم النَّاس ومُؤَدِّبهمْ)[١٢].

وفي مصباح الشريعة: (العَالِمُ حَقًّا هُوَ الَّذي تَنطقُ عَنهُ أعمالُهُ الصَّالحَةُ وأورادُه الزَّاكيَةُ ، وصَدَّقَهُ وتَقواهُ، لا لسَانُهُ ومُناظَرَتُهُ ومُعادَلَتُهُ وتَصاوُلُهُ ودَعواهُ.... الحديث)[١٣].

وعلى هذا الأساس، فإنّ على الأمة أن ينسجم لديها القول والعمل في ساحة التغيير، ولا يزدوج لديها السلب والإيجاب في آن واحد، حيث تجتمع إيجابية القول

مع سلبية الفعل فتكون موضع عتاب الله عزّ وجل وتوبيخه: (**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**)[١٤].

أي: أيها المؤمن، لماذا لا تتحرّك مبادئ هذه الرسالة في حياتك؟ ولماذا لا تتفاعل مبادئها في ذاتك وفكرك وسلوكك قبل أن تأمر غيرك؟.

ومما سمعنا من بعض الفضلاء: أنّ مملوكة خادمة اشتكت إلى رسول اللهﷺ تعبها وأذاها من الخدمة عند سيدها، وطلبت منه أن يأمر سيدها بعتقها، فأجابها رسول اللهﷺ بالقبول، فمضت.

ولما لم يتحقق ما وعدها عادت بعد فترة من الزمن لتؤكد عليه ذلك، وهكذا عادت عليه مرة أخرى وأخرى، حتى تم تنفيذ طلبها بعد حين، فلما أعتقت، جاءت إلى رسول اللهﷺ لتشكره، ثم سألته قائلة: لما تأخر طلبي يا رسول الله؟

قالﷺ ما معناه: كان ذلك لأني كنت أجمع مالاً لشراء رقبة لأعتقها قبل توجيه الأمر لسيدك بعتقك، لأني لا آمر بشيء حتى أكون أوّل من يأتمر به ولا أنهى عن شيء إلا وأنا أوّل من انتهى عنه.

وهكذا تتظافر تعاليم الرسولﷺ وأهل البيتعليهم السلام في التأكيد على أهمية السيرة العملية في طريق الإصلاح والتغيير.

كما جاء عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام: (كُونُوا دُعَاةً لِلنَّاسِ بِالْخَيْرِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ لِيَرَوْا مِنْكُمُ الاجْتِهَادَ وَالصِّدْقَ وَالْوَرَعَ)[١٥].

نسأل الله تعالى العون والتيسير في طريق الإصلاح والتغيير، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير حبيب الله ونجيبه وصفيه وخالصته محمد وآله الطاهرين ■

---

(١) الأحزاب: ٢١.
(٢) الحشر: ٧.
(٣) الحجرات: ٧.
(٤) محمد الريشهري- ميزان الحكمة -: ٢/١.
(٥) الإسراء: ٩.
(٦) العلامة المجلسي - بحار الأنوار-:١٤٣/٩.
(٧) الفتح: ٢٩.
(٨) الشيخ علي النمازي – مستدرك سفينة البحار -:١/١٠.
(٩) الجن:١٦.
(١٠) الأعراف: ٩٦.
(١١) هود: ٢١.
(١٢) نهج البلاغة /ج٤ ص١٦.
(١٣) الشيخ علي النمازي – مستدرك سفينة البحار -: ٣٥٤/٦.
(١٤) الصف: ٢ـ٣.
(١٥) الكافي للكليني /ج٢ ص١٠٥ .

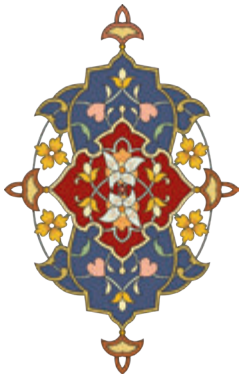

بسم الله الرحمن الرحيم
فإن لله وإن إليه راجعون
وإنا لله وإنا إليه راجعون
١٤٢٩

الإنسان.. وظاهرة التضاد

طالب علي الشرقي •
كاتب وباحث

الإنسان سيد المخلوقات جميعاً، كرّمه البارئ القادر سبحانه وتعالى بأن أمر الملائكة بالسجود له، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[1] ثم توَّجهُ بنعمة العلم.

ينابيع

قال عز وجل: (خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[2] وقال أيضاً: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[3] وسخَّرَ له كل شيء، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ)[4] وأفاض عليه نعمة العقل وملكة الحفظ والتذكر، ولم يكلّفه بما يشق عليه، قال سبحانه: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ، أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[5] ولم يطلب منه إلاّ الإقرار بوحدانيته وان ينقاد لأوامره ونواهيه. قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)[6] واصطفاه لرسالاته بأن جعل الأنبياء والرسل من بني الإنسان. قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى، أَفَلَمْ يَسِيرُواْ

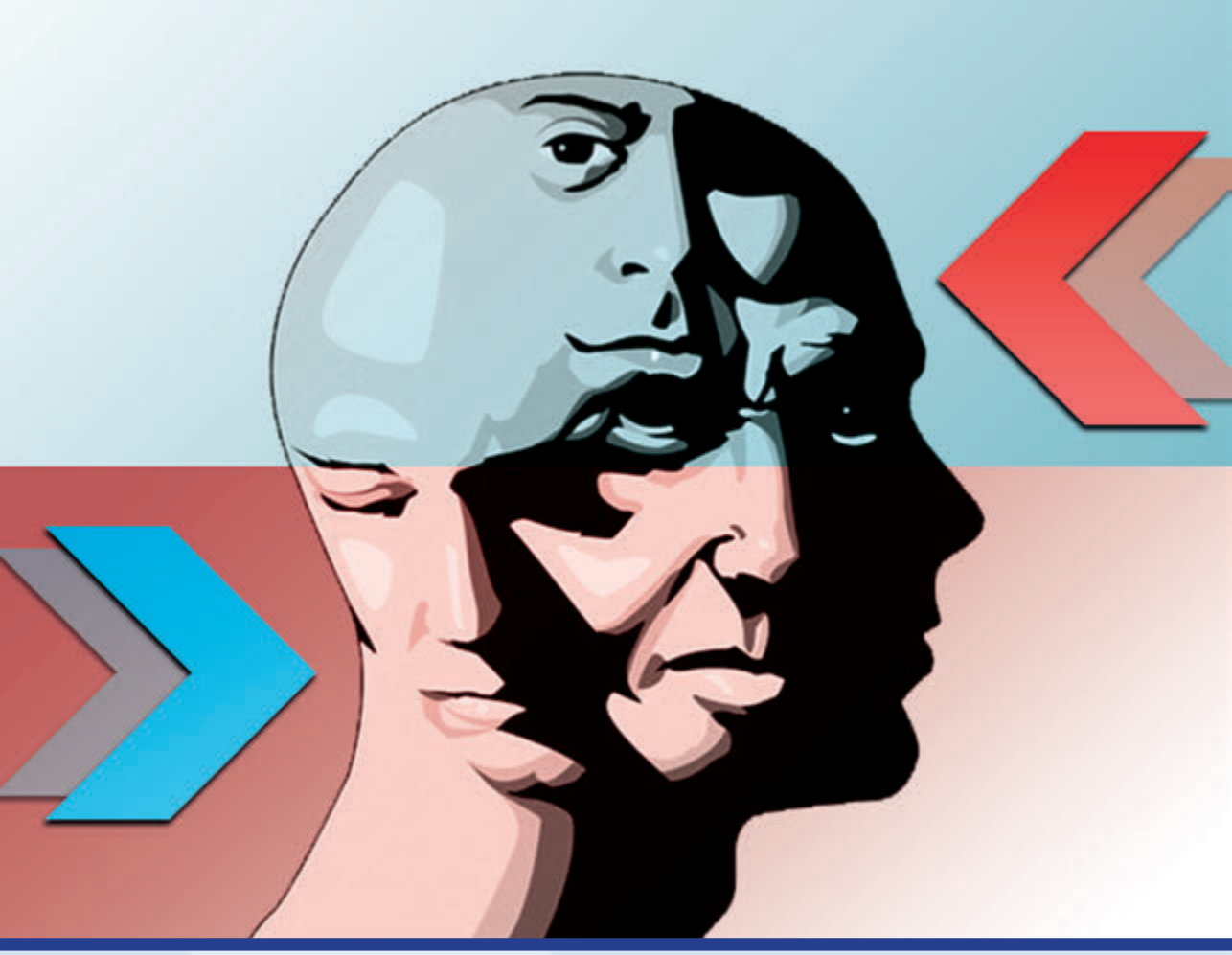

في الأَرْض فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَواْ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[٧].

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: (ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله تعالى خلقه حياً عالماً قادراً متكلماً سميعاً بصيراً مدبّراً حكيماً)[٨] وافتتح ابن بختيشوع كتابه (طبائع الحيوان) بالإنسان وقال: (إنه أعدل الحيوان مزاجاً وأكمله أفعالاً وألطفه حساً وأنفذه رأياً فهو كالملك لسائر الخليقة)[٩].

لقد ملأ الله تبارك وتعالى الأرض والسماء بالخيرات، وقال سبحانه: **(وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا، إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)**[١٠] متاعاً للحياة الدنيا، وقال للإنسان: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ، وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)**[١١].

إن جميع الرسالات السماوية صرّحت بأن الدار الآخرة هي الأبقى، وأنّ الدنيا فانية، فهي مرحلة عبور إلى الحياة الدائمة. قال تعالى: **(وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)**[١٢].

ومن عدل اللّه تبارك في علاه أن لا تتساوى منزلة المؤمن والكافر، أو الصالح والطالح، أو المصلح والمفسد. فقد أعد الله تعالى لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنّة وللكافرين النار، وكلٌ خالد فيما آل إليه مصيره..

هذا هو مجمل الخط البياني لبني آدم. وعلى ضوء ما تقدم يمكننا تقسيم الناس ـ إجمالاً ـ إلى: المؤمنين الموحدين المخلصين لله تبارك وتعالى ولرسله عليهم السلام، وآخرين من الضالين المعاندين المتابعين للشيطان. قال تعالى: (**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**)[١٣] ولكن: برحمة الله وعفوه فُتح للناس باب التوبة والرجوع إلى جادة الحق، فرجحت كفة المؤمنين، وسلك أغلب الناس صراط الذين أنعم الله عليهم.. ولكن بعضهم: (**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)[١٤].

ومن هنا يبدأ الحديث الذي كرّس لصفات الإنسان الظاهرة للعيان عبر الحقب المتتالية والتي تواتر ذكرها وأصبحت راسخة في ذاكرة المتتبعين وفي مدونات الباحثين على أنْ يستثنى من ذلك كل من أفرغ الله تبارك وتعالى عليهم ألطاف فضله وشآبيب رحمته. فرفعهم إلى أسمى منزلة وأشرف مقام، ودفع عنهم ما لا يرضاه لهم، كالأنبياء والأولياء والصالحين والمؤمنين حقاً: (**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**)[١٥] و(**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)[١٦] (**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**)[١٧] (**رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**)[١٨].

ولعل من تمام القول أن نذكر بعض صفات المؤمنين: (فالمؤمن شريف ظريف لطيف، لا لعّان ولا نمّام، ولا مغتاب ولا قتّات، ولا حسود ولا حقود، ولا بخيل ولا محتال، ويطلب من الخيرات أعلاها ومن الأخلاق أسناها، إنْ سلك مع أهل الآخرة كان أورعهم، غضيض الطرف سخي الكف، لا يرد سائلاً ولا يبخل بنائل، متواصل الأحزان، مترادف الإحسان يزن كلامه ويحرس لسانه ويحسن عمله، ويكثر في الحق أمله، متأسف على ما فاته من تضييع أوقاته كأنه ناظر إلى ربّه مراقب لما خلق له، لا يرد الحق على عدوه، ولا يبطل الباطل من صديقه، كثير المعونة، قليل المؤونة، يعطف على أخيه عند عسرته لما مضى من قديم صحبته)[١٩].

ومن علامات المؤمن أيضاً: (قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحكم في علم، وكبس في رفق، وعطاء في حق، وقصد في غنى، وغنى في فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة في نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف في جهد، وصبر في شدة...)[٢٠].

أمّا الرسل والأنبياء عليهم السلام فقد أسبغ الله عليهم نعماً جمّة، ودرجات فخمة، تمييزاً لهم عن سائر خلقه وأودع كنوز علمه وحكمته لدى الصفوة من أوليائه ورسله وخصهم بالعصمة[٢١] لتستقيم مقوّمات الحياة، وتعلو كلمة الله وذكره جل جلاله وحتى لا يؤول مصير البشرية إلى ما آل إليه مصير قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. إنّ الله لطيف بعباده. غفور رحيم.

ومن خلال المعايشة الميدانية التي مرّ بها العقلاء والعلماء النَقَدَةُ من أرباب الفنون والآداب، وأهل النظر في الطباع والسلوك والنزعات الفردية، تبيّن أن

الإنسان ذلك المخلوق الذي خُلقت السماوات والأرض وما بينهما لأجله، تتجسد في سلوكه طباع متضادّة لا تجتمع في غيره من المخلوقات، وهي ليست وليدة ظروف خاصة أو بيئة معيّنة، بل هي قد ركبت فيه تركيباً عجيباً بفعل ما منحه الله تبارك وتعالى من نِعَم وملكات، وقوى وإمكانات يستطيع بها فعل الخير وخلافه. علماً بأن الله تعالى قد بين له طريق الخير وطريق الشر. قال سبحانه وتعالى: (**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**)[٢٣] ولكنه كما قال الله جل جلاله: (**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ، وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا، إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**)[٢٣] وقوله أيضاً: (**قُتِلَ الإِنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ**)[٢٤] والحقيقة أن هناك عوامل مساعدة تعمل على بروز ظاهرة التضاد في سلوك الناس، أهمها:

١ـ التربية البيتية (النشأة الأولى): وهي الأساس الذي يقوم عليه الكيان السلوكي، فالطفل محكوم لعقله الباطن، يتلقى ما يفرزه المحيط البيتي فيأخذه كمسلّمات، ثم ترسخ في ضميره، فإذا كان الحاصل طيباً، كانت نتائجه إيجابية متّفقة مع القيم المقبولة، والعكس بالعكس. ثم يأتي دور المدرسة، وتأثير المعلم الجيد والأصدقاء الجيدين، فتتعززه ثقة الطفل بنفسه ويزداد خبرة، على عكس مما لو كان معلمه وأقرانه لا يحسنون التصرف ويصدر منهم القول السيّئ والفعل السيئ، مما يدفعه إلى التقليد وهو لا يدرك مخاطر أفعاله فقد يمد يده لحاجات غيره أو يختلق الأعذار الكاذبة عندما يخطئ أو يقصّر في أداء واجباته وربما ينحدر إلى الأسوأ في الفعل والقول. أما حين يواجه المجتمع خارج البيت والمدرسة ـ وهو مليء بالخير والشر ـ فإن كانت فطرته طيبة وتربيته حسنة وتحصيله المدرسي جيداً فهو في حرز من تأثير الشر بنسبة أكبر مما لو وقع فريسة لأقران السوء والشراذم الجانحة والخارجة عن العرف والخلق والدين.

٢ـ الحالة الاقتصادية: ليس بالضرورة أن يكون الوضع الاقتصادي الجيد سبباً في جودة السلوك، فقد يكون كذلك وقد يكون وسيلة لفعل المنكر. كما أن الفقر لا يجبر الفرد على فعل المعاصي والسلوك المذموم فهو ذو حدين، فقد يدفع باتجاه القناعة والرضا، وقد يدفع باتجاه الرفض وارتكاب المحرمات.

٣ـ الحالة الصحية: وهي تشبه إلى حد كبير الحالة الاقتصادية. فقد يذهب صاحب الحالة الصحّية الجيدة إلى ممارسة الأفعال الخيّرة التي ينتج عنها ما ينفع نفسه وينسحب على غيره من أبناء محيطه، أو قد تدفعه العافية إلى الاستهتار بحقوق الآخرين والاعتداء على الضعفاء وارتكاب الموبقات وتعريض نفسه أيضاً إلى الأضرار، وربما يصل الأمر إلى السجن أو العوق أو الموت.

٤ـ الوضع الاجتماعي العام: من المعلوم أن الوضع الاجتماعي في أي مكان يجمع بين الصالح والطالح ويمارس الناس شتى أنواع السلوك. وأن المعيار الذي يحدد الخير والشر هو: الدين والعرف والقانون الوضعي. وليس بإمكان أحد أن يجعل الناس كيفما يريد خيراً أو شراً، إلاّ أنّ الطابع العام للسلوك يرتبط بضوابط يرضاها الأغلبية وهي متصلة بالوازع الفطري لجنبة الخير والصلاح أو رادع الدين أو سلطة العرف الذي يحدد السلوك. أما الأشرار من الخارجين على العرف

والدين فلا ينشطون إلاّ إذا لمسوا تساهلاً من الناس أو عندما يضطرب حبل الأمن وتسوء الأوضاع في البلد فيظهر المستور، ويشيع الباطل والرياء والازدواجية في السلوك.

وإذا رجعنا إلى مدوّنات السلف لوجدنا كثيراً من المتضادات الظاهرة في حياة الأفراد وفي تعاملهم مع أبناء جنسهم وبقية المخلوقات. وقد أحصى أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه (الحيوان) الكثير من تلك الصفات، وقبل أن نذكر تلك الإحصائية النادرة نقول: نحن اليوم بحاجة إلى عارف مقتدر جريء يكشف لنا ما استجد في حياتنا من متضادات خلقتها عوامل جديدة سميت بالعصرية والحداثوية... نُقلت صورها من عوالم غريبة لا تتفق مع تقاليدنا وذوقنا الاجتماعي. نعم إنّ تلك البلدان قد سبقتنا في مجال العلم والبناء ولكنهم فقدوا ما يحميهم من مهاوي الرذيلة، جرفتهم الصَرْعات والهوَس في ميادين التربية الشخصية والعقائد المحرّفة والمتاجرة بالمحرّم، وأصبحوا مصدراً لتصدير الضلال ومحاربة القيم الروحية التي بأنوارها يعاد التوازن للنفس البشريّة كلما اتسعت الهوّة بين الحق والباطل.

إننا اليوم نعيش صراع التحولات المرتجلة، وتتخبطنا التيارات الثقافية المتناقضة حتى لم نعد نثق بأنفسنا أو نحترم تاريخنا، نتنكّر لتراثنا الاجتماعي وذخائرنا الأدبية وقيمنا الأخلاقية وتعاليم ديننا، يأخذنا المدّ الوارد من بؤر التحلل والانفلات، ويردّنا الجزرُ الثقافي والتراجع المعرفي والضعف الإيماني إلى دوائر الحَيرة والتردد وعدم وضوح الرؤية، ولهذا نرى أن ما ذكره الجاحظ في كتابه (الحيوان) يحتاج إلى مستدرك يكمّل المستجد من المتضادات...

يقول الجاحظ: (...ألا ترى أن فيه (الإنسان) طبائع الغضب والرضا، وآلة اليقين والشك، والاعتقاد والوقف، وفيه طبائع الفطنة والغباوة، والسلامة والمكر، والنصيحة والغش، والوفاء والغدر، والرياء والإخلاص، والحب والبغض، والجد والهزْل، والبخل والجود، والاقتصاد والسرف، والتواضع والكبر، والأُنس والوحشة، والطفرة والإمهال، والتمييز والخبط، والجبن والشجاعة، والحزم والإضاعة، والتبذير والتقتير، والتبذل والتعزز، والادخار والتوكل، والقناعة والحرص، والرغبة والزهد، والسخط والرضا، والصبر والجزع، والذكر والنسيان، والخوف والرجاء، والطمع واليأس، والتنزه والطبَع، والحياء والقحة، والكتمان والإشاعة، والإقرار والإنكار، والعلم والجهل، والظلم والإنصاف، والطلب والهرب، والحقد وسعة الرضا، والسرور والهم، واللذة والألم، والتأميل والتمنّي، والإصرار والندم، والجماح والبدَوات، والعي والبلاغة، والنطق والخرس، والتصميم والتوقف، والتغافل والتفاطن، والعفو والمكافأة، والعجز والاستطاعة، ... وما لا يحصى عدده ولا يُعرف حدّه)[٢٥].

وعليه أقول: نحن بانتظار مشروع نهضوي تربوي إصلاحي، تتبنّاه جامعات البلد وأهل الخبرة، وتسنده رغبة شعبية ووسائل وعظ وإعلام صادقة لاختزال ما يمكن اختزاله من السلبيات التي تعبث بمصائرنا وتمسخ مستقبل أبنائنا، وتقضي

على بقايا سؤددنا وعزّة الإسلام فينا.

إننا جميعاً مطالبون بالمساهمة ولو بشق فكرة أو بدعم مبادرة. قال تعالى: **(لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ)**[٢٦].

صدق اللّه العلي العظيم ■

---

(١) البقرة ٣٤.
(٢) الرحمن ٣-٤.
(٣) العلق ٣، ٤، ٥.
(٤) لقمان ٢٠.
(٥) البقرة ٢٨٦.
(٦) البينة ٥
(٧) يوسف ١٠٩.
(٨) الدميري / حياة الحيوان الكبرى ١: ٤٩.
(٩) المصدر السابق ١: ٥٠.
(١٠) النحل ١٨.
(١١) القصص ٧٧.
(١٢) الأعلى ١٧.
(١٣) الحجر ٣٩، ٤٠.
(١٤) التوبة ١٠٢.
(١٥) البقرة ٣.
(١٦) المائدة ٥٥.
(١٧) النور ٣٧.
(١٨) آل عمران ١٩١.
(١٩) الدميري / حياة الحيوان الكبرى ١: ٥٢.
(٢٠) المختار من النثار / مجموع مخطوط في مكتبتي.
(٢١) العصمة: التنزه عن الذنوب والمعاصي، صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان. فلو جاز أن يفعل النبي المعصية أو يخطئ وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل فيجب علينا اتباعه. قال تعالى (مَّآ أَفَآءَ اللّه عَلَى رَسُوله مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَللّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ، وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا، وَاتَّقُوا اللّه، إِنَّ اللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر ٧) فإن وجب اتباعه فقد جوّزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل.. وإن لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لابد أن تقترن بوجوب الطاعة أبداً. (انظر المظفر عقائد الأمامية صفحة ٥٤) وعندنا أنّ الإمام معصوم أيضاً لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي ﷺ والدليل إلى ذلك نفس الدليل السابق. انظر المصدر السابق صفحة ٦٧.
(٢٢) البلد ١٠.
(٢٣) إبراهيم ٣٤.
(٢٤) عبس ١٧.
(٢٥) الجاحظ / الحيوان ١: ٢١٤.
(٢٦) سورة الرعد ١١.

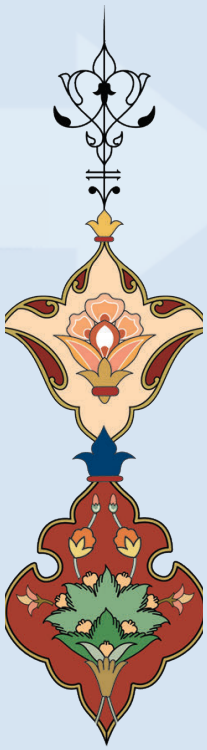

موقف الفقه الإمامي
مِن (ما لا نص فيه)

أسعد عبد الرزاق فرج الله •

ينابيع

يعيش الواقع الاستنباطي في عموم الدائرة الإسلامية مشكلة تجدد الوقائع الحياتية تحت قانون التطور مع تناهي النصوص التشريعية، مما حدا بالحركة الاجتهادية في كافة المذاهب الإسلامية إلى إيجاد مخرج استنباطي لهذه المشكلة، وقد أخذت بقية المذاهب الإسلامية بمصادر تشريعية أخرى غير النص القرآني والحديثي والإجماع، ومع أنهم لم يتفقوا مع الإمامية في استقلالية دليل العقل كمصدر من مصادر التشريع، فإنهم أخذوا بالقياس والاستحسان والمصلحة وسد الذرائع وفتحها، والعرف..، كأدلة أو مصادر في ما لا نص فيه من الوقائع الحياتية المتجددة والموضوعات المستحدثة.

أما في حدود دائرة الاجتهاد الإمامي، فإن ثمة مخارج وضعها أصوليو الإمامية بغية التأسيس المنهجي لمعالجة القضايا المستجدة في الواقع المتغير، وكانت تلك المخارج ذات صيرورة وتطور عبر التاريخ الأصولي ـ الفقهي الإمامي، بدأت منذ التنظير المنهجي لدليل العقل عند الإمامية والتأسيس له معرفيًا من خلال مباحث العقل العملي أو المستقلات العقلية، وانتهاءً إلى ما يعرف بمنطقة الفراغ التشريعي وصلاحيات الفقيه المجتهد، في العديد من المسائل المستحدثة.

وقد كانت مهمة المجتهدين ملء منطقه الفراغ بالأحكام الاجتهادية والتنظيم بعد أن لم يكن في الواقعة نص.

إنّ موضوعات الأحكام أو متعلقاتها كانت هي أفعال المكلفين على ما هي عليه في زمانهم من محدودية وبساطة

طبقاً لبيئتهم آنذاك، فالقوانين الواردة في النقل مثلاً لا تتجاوز أحكام استئجار البشر، أو بعض الحيوانات، أو بعض الزوارق، أما أحكام الطائرات ومطاراتها، والبواخر وموانيها ومرورها في أجواء الغير وبحارهم، وأجور القائمين عليها، فهي موضوعات مستحدثة شأنها شأن استنساخ الإنسان، وأطفال الأنابيب، أو النظر للأفلام السينمائية والتلفزيونية عامة والمخلّة بالأخلاق خاصة، والألعاب الإلكترونية، والتجارة الإلكترونية، والحقوق الفكرية عمومًا، ونشر المؤلفات واستغلال العلامات التجارية وكل ما يشمله مصطلح الملكية الأدبية والفنية والصناعية خصوصاً... إلى غير ذلك من نظم حديثة[1]، مما لم نجد لها وعنها ذلك البيان الجلي في القرون الأولى من بدايات الديانة الإسلاميّة وتشريعها.

ومنطقة الفراغ هذه وصلاحية الفقيه في سدّها من مقتضيات حفظ النظام، (إن المعروف من الإسلام أنه يملأ الفراغات اللازمة الملء لحفظ النظام ونفي الهرج والمرج، أي إن كل ما يكون عدم ملئه موجبًا لاختلال النظام يملؤه الإسلام بطريقته الخاصة)[2].

وتأسيسًا على ذلك ظهرت ثمة مظاهر اجتهادية بصدد معالجة إشكالية تناهي النصوص ولا تناهي الوقائع، وأبرزها:

أولًا: ظاهرة الإمضاء الشرعي

الإمضاء بحسب اللغة كأن يقال: (أمضى الحكم والأمر أي أنفذه)[٣]، والإمضاء بمعنى التنفيذ والخلق كما عند أبي الهلال العسكري[٤].

وكذلك معناه عند صاحب معجم لغة الفقهاء إذ يقول: (الإمضاء أو أمضى الحكم أو الأمر: أنفذه)[٥].

أما في الاصطلاح الفقهي، فالإمضاء غالبًا ما يرد على ألسنة الفقهاء في محل الاستدلال الفقهي، ولم يوجد من عرفه إلا أن التعبيرات الفقهية توحي بمعناه وهو مما لا حاجة إلى تعريفه كمصطلح، إلا أنه من خلال كونه ظاهرة في التشريع الإسلامي يحتاج إلى وقفة تأمل في دواعيها وتداعياتها.

وتتشكل هذه الظاهرة من خلال أن التشريع الإسلامي في جانبه التنظيمي المتعلق بإدارة حياة الإنسان، قد وقف على جملة من السلوكيات التي أخذ البشر يتداولونها، وهذه السلوكيات تختلف نوعًا وكمًا كذلك من حيث الأهمية، فالإنسان مدني بطبعه ويميل إلى تشكيل علاقات مع أفراد المجتمع على مختلف أنواع تلك العلاقات بحسب حاجاته الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية.

والإمضاء الشرعي هو سكوت وتقرير الشرع لحالة أو سلوك فيه مصلحة مادية أو معنوية، وخصوصًا في باب المعاملات، إذ تشكل دائرة المعاملات حزمة من الإمضاءات، فقوله تعالى: (**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ**)[٦] ما هو إلا إمضاء لفعل البيع، إذ إن البيع كفعل موجود قبل نزول التشريع، ولم يكن للتشريع إلا أن جعل له اعتبارًا يقتضي صحة الفعل وفق معناه العرفي، ويؤكد ذلك السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره بقوله: (إن الإمضاء الشرعي إنما تعلق في عالم التشريع بنحو القضية الحقيقية بالاعتبار الصادر من شخص خاص مع تحقق قيود مخصوصة ومن جملتها وجود مظهر خاص في مقام إبراز الاعتبار)[٨]، بمعنى أن الإمضاء ما هو اعتبار، وما يتعلق بهذا الاعتبار مفهوم عام كعموم مفهوم البيع، من دون النظر إلى كونه صحيحًا أو فاسدًا، إذ صحة البيع غير منظورة في عملية الإمضاء كما يبين ذلك السيد علي الشاهرودي قدس سره بقوله: (وما يتعلق به الإمضاء الشرعي هو الطبيعي، وهو لا يتصف بالصحة والفساد، والمتصف بهما الفرد بملاحظة انطباق الطبيعي عليه وعدمه)[٨]، والطبيعي هو طبيعي المفهوم من دون ملاحظة ما يطرأ عليه من قيود أو أوصاف، والصحة والفساد إنما تنطبق على أفراد ذلك الطبيعي.

ويشير سماحة آية الله العظمى الشيخ الفياض إلى أن (نسبة المعاملات إلى الإمضاء الشرعي في إطار أدلته الخاصة نسبة الموضوع إلى الحكم)[٩]، بمعنى أن الإمضاء لما كان يدل على عدم الردع والمنع فهو من جهة أخرى يعد حكمًا بالجواز وما نسبة المعاملات إليه إلا موضوعات بما أنها أفعال وسلوكيات مطردة.

ومن نماذج الإمضاءات الشرعية:

البيع المعاطاتي: فيدل على صحته: (وجوده من لدن تحقق التمدن والاحتياج إلى المبادلات إلى زماننا، بل الظاهر أن البيع أقدم زماناً وأوسع نطاقاً من البيع بالصيغة...وكانت متعارفة في عصر النبوة وبعده بلا شبهة، فلو كانت غير صحيحة

لدى الشارع... لكان عليهم البيان القابل للردع)[١٠].

مستويات الإمضاء الشرعي

لما كان الإمضاء يتضمن توافقًا بين عالم التشريع وبين عالم التكوين، أو بين منظومة الأحكام وبين منظومة الأفعال، فإن هذا التوافق يظهر على عدة مستويات:

١- الإمضاء المرصود في النص: وهو الإمضاء الذي تعلق بموضوعات في عصر النص، كما في إمضاء البيع وبقية المعاملات.

٢- الإمضاء الملازم للنص: وهو الواقع في توسيع نطاق الدليل من خلال مناسبات الحكم والموضوع، أو ما يعبر عنه بتنقيح مناط الدليل.

٣- الإمضاء الملحق بالنص: وهذا الإلحاق يتم من خلال ملاحظة بعض خصوصيات الموضوع التي يشترك فيها مع موضوعات أخرى لها أحكامها الشرعية المنصوصة، وهو التكييف الشرعي لكثير من الموضوعات المستحدثة كما هو مصطلح عليه في الدراسات الفقهية المتأخرة.

أدوات الإمضاء الشرعي

تقوم فكرة الإمضاء على أداتين مهمتين في الواقع الاستنباطي، وهما العرف والسيرة العقلائية، فالموضوعات التي يمضيها الشرع إنما تكون قابلة للإمضاء في حالة كونها من الأمور العرفية أو العقلائية، بمعنى أن العرف والسيرة العقلائية يمثلان المدخل والطريق للإمضاء الشرعي، فلا يوجد إمضاء لموضوع معين ما لم يكتسب هذا الموضع طابعًا عرفيًا أو عقلائيًا.

نظرًا إلى التطابق والانسجام بين عالم التشريع وعالم التكوين، وكيف أن هذا التطابق عامل أساس في حفظ النظام العام، فإن الإمضاء من مقتضيات ذلك التطابق وبالتالي من مقتضيات حفظ النظام، فالإمضاء الشرعي لا ينبغي أن يفهم في إطار كون التشريع ينجر إلى واقع ضاغط فيضطر إلى القبول بعناصر الواقع كأعراف وسير عقلائية، بل الحق هو أن التشريع منذ البدء قد اهتم بحفظ النظام العام وإمضاء ظواهر الحياة في حدود كونها طبيعية تنسجم مع الفطرة.

ثانياً: ظاهرة التكييف الشرعي

من حيث المفهوم يعد التكييف الشرعي مستوى من مستويات الإمضاء الشرعي إلا أنه برز مستقلًا من حيث المصطلح، لذلك تم رصده على أنه ظاهرة من ظواهر تعاطي الفقه مع ما لا نص فيه.

فبالنظر إلى الفواصل الزمنية بين النص وبين الواقعة المستحدثة التي لا يجد لها الفقيه نصًا شرعيًا مبينًا لحكمها، فإن متطلبات الواقع وما تنطوي تحته من مستجدات تحتم على الفقيه موقفًا شرعيًا يحدد مشروعية الواقعة المستجدة من عدمها، وفي ضوء هذه الحاجة الملحة والتي هي من مصاديق حفظ النظام فقد لجأ الفقهاء إلى عملية التكييف الفقهي.

(إننا أمام موقفين في عملية التكييف الفقهي للبنك اللاربوي أولهما هو عندما يتم التخطيط لبنك لا ربوي ضمن تخطيط شامل للحياة وفق الرؤية الإسلامية، وثانيهما: هو التخطيط للبنك بصورة مستقلة عن مرافق النظام الإسلامي وتحت النظام الفاسد وهذا يحتم علينا أن نبحث

البنك اللاربوي بشكل مختلف عن الموقف الأول..)[11]، ويتضح من هذا القول مقتضى حفظ النظام العام في تكييف معاملة مالية أصبحت محل ابتلاء المكلف.

ثالثاً: ظاهرة الأصل العملي

الأصل العملي هو ما يرجع إليه عند العجز عن تحصيل الأدلة الكاشفة عن الحكم الواقعي وتركز الشك(١٢)، أو هو: (الحكم الظاهري المحتاج إليه في مقام العمل من دون ارتباط له بمقام الألفاظ، فكل حكم ظاهري كان مجراه باب الألفاظ فهو أصل لفظي. وكل حكم ظاهري كان مجراه عمل المكلف وتعيين وظيفة له بالنسبة إلى عمله فهو أصل عملي)[13]، ويكون في حالة عدم حصول الفقيه على دليل يدل على الحكم الشرعي وبقاء الحكم مجهولًا لديه، فيتجه البحث في هذه الحالة إلى محاولة تحديد الموقف العلمي تجاه ذلك الحكم المجهول بدلًا عن اكتشاف نفس الحكم.

والأصول العملية لا تثبت متعلقاتها، لأنه ليس لسانها لسان إثبات الواقع والحكاية عنه، وإنما هي في حقيقتها مرجع للمكلف في مقام العمل عند الحيرة والشك في الواقع وعدم ثبوت حجة عليه وغاية شأنها أنها تكون معذرة للمكلف[14].

وقد امتاز الفقه الإمامي بهذا المنحى عن غيره، لكن لم يكن هذا المنحى بهذه الدرجة من الوضوح منذ البدء، بل أخذت تتبلور وتتضح شيئًا فشيئًا، إلى أن ظهرت بشكل دقيق على يد الأستاذ الوحيد البهبهاني قدس سره ومدرسته، ثم تحددت بعده على يد الشيخ الأنصاري قدس سره[15].

والأصل العملي بما يوفر من مساحة أمام المكلف تجاه الواقعة المجهولة أو المشكوكة فهو يسهم في حفظ النظام من حيث كثرة تلك الوقائع ■

---

(١) ظ: البهادلي، أحمد : منع الحمل وإجهاض النطفة، وظ: الصغير، محمد حسين : فقه الحضارة . للاطلاع على بعض النماذج .
(٢) الحائري، كاظم: القضاء في الفقه الإسلامي:١/ ٣.
(٣) إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، المعجم الوسيط، ت: مجمع اللغة العربية: ٦٧٠/٢
(٤) العسكري، ابو الهلال: معجم الفروق اللغوية: ٢٤/١
(٥) قلعجي، محمد: معجم لغة الفقهاء : ٨٩/١
(٦) البقرة: ٢٧٥
(٧) الخوئي: أبو القاسم، أجود التقريرات: ٢/ ١٣٧
(٨) دراسات في علم الاصول: ٢٤/٢
(٩) الفياض، محمد اسحاق، محاضرات في أصول الفقه تقريرًا لأبحاث السيد الخوئي: ٩/٥.
(١٠) الخميني، روح الله الموسوي، البيع، ٥٩/١.
(١١) الصدر، محمد باقر، البنك اللاربوي: ٢١، ط ٢٠١٢، العارف.
(١٢) الحكيم، محمد تقي، الأصول العامة للفقه المقارن: ٣٠٦ ،
(١٣) المشكيني، علي، اصطلاحات الأصول:٥٠.
(١٤) ظ: المظفر، محمد رضا، أصول الفقه: ٨/٢
(١٥) ظ: الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ٤٩٣/٣.

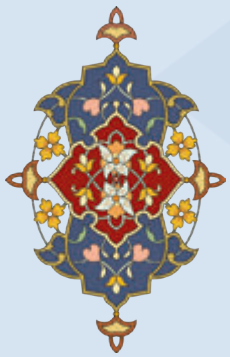

من شعر الحكمة:

قال المأمون العباسي للإمام الرضا عليه السلام: هل رويت من الشعر شيئًا؟
فقال عليه السلام: قد رويت منه الكثير.
فقال: أنشدني أحسن ما رويته في الحلم.
فقال عليه السلام:

إذا كان دوني من بليت بجهله ... أبيت لنفسي أن تقابل بالجهل
وإن كان مثلي في محلي من النهى ... أخذت بحلمي كي أجل عن المثل
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى ... عرفت له حق التقدم والفضل

فقال له المأمون: ما أحسن هذا، من قاله؟! فقال عليه السلام: بعض فتياننا.
قال: فأنشدني أحسن ما رويته في السكوت عن الجاهل وترك عتاب الصديق.
فقال عليه السلام:

إني ليهجرني الصديق تجنبا ... فأريه أن لهجره أسبابا
واراه أن عاتبته أغربته ... فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا بليت بجاهل متحكم ... يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

فقال المأمون: ما أحسن هذا؟! هذا من قاله؟ فقال عليه السلام: بعض فتياننا .
قال: فأنشدني عن أحسن ما رويته في استجلاب العدو حتى يكون صديقًا.
فقال عليه السلام:

وذي غلة سالمة فقهرته ... فأوقرته مني لعفو التحمل
ومن لا يدافع سيئات عدوه ... بإحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر في الأشياء أسرع مهلكا ... لغمر قديم من وداد معجل

فقال المأمون: ما أحسن هذا؟ هذا من قاله؟ فقال عليه السلام: بعض فتياننا .
قال: فأنشدني أحسن ما رويته في كتمان السر.
فقال عليه السلام:

وأني لأنسى السر كي أذيعه ... فيا من رأى سرا يصان بأن ينسى
مخافة أن يجري ببالي ذكره ... فينبذه قلبي إلى ملتوى الحشا
فيوشك من لم يفش سرًا وجال في ... خواطره أن لا يطيق له حبسا

عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ج٢ ص١٨٧

واقعة الطف..

معيار العقائدية الأدق

د. فاضل منجي شكر •

ينابيع

من بديهيات الأمور القول إن الفترة التي فصلت بين يوم البعثة النبوية الشريفة ويوم واقعة الطف الرهيب لم تتجاوز الثلاثة وسبعين عاماً. فترة عمر شخص عادية جداً لم تكن كافية لإنضاج عقلية فرد سويّ متّزن راغب في تطوير نفسه فضلاً عن إشباع فكر أمة أو مجتمع، خاصة كالمجتمع الجاهلي المشبّع بالعادات والتقاليد والقيم القبلية المتحجرة والمتخلفة كثيراً حتى عن أقرانه، يكفيك أن تفصح السماء عن جريمته الشائعة مما يجعل القرآن يستنكرها برهبة مخيفة.. يقول سبحانه وتعالى: (**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**) (التكوير:٨ ـ ٩) مجتمع لا يرحم فيه وليدة بريئة يقتلها وهي لم تكن المسؤولة عن وجودها في هذه الحياة.. مجتمع كهذا يبعث به ومن رحمه نبي الرحمة المهداة ثم ليأتي النص الذي سيكفل الله تعالى به حفظ كتابه المنزل ودينه المكفل ونبيه المرسل (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**..) (الحجر:٩) ثم (**بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**) (المائدة:٦٧) ثم (**وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) (يوسف:٢١) هكذا، إذن، ولم يكن هكذا لولا قصر الفترة كأحد المتحديات التي تقف إلى جنب سواها مهددة لإنقاذ عقيدة السماء برسالتها الخاتمة بمشيئته جل وعلا. مرحلة قصيرة العمر لا ينضج

فيها رجال النوع ونساؤه إلا باختيار وإرادة ربانية سابقة كي يحافظ فيها أمثالهم على عقيدتهم حتى لحظة لحاقهم بربهم في الملكوت الأعلى. هؤلاء الناس هم أمثلة النوع الأسمى في كل المقاييس، ليس من لائق سماتهم الدنو من الرذيلة. هؤلاء أناس هم بالدرجة التي تلي درجة المعصومين. أما سواهم فأولئك هم من السنخ الآخر.

إذن فترة قصرت، لرسالة بعثت، وزلازل أثناءها قد وقعت، فهي بين ستّر، ثم جهر، ثم هجرة، بعدها فتح، تخلله زلزال (حنين)، وفي الفتح دخل الناس في دين الله أفواجا بإرادته سبحانه ليتعلموا الدين لاحقاً إن أرادوا هم ذلك عن قناعة لاحقة أو رغبة ساحقة، رجال ونساء أسلموا وبعض قد استسلموا وبعدها يرحل صاحب الرسالة قريباً بعد أن كمل الدين وتمت النعمة ورضى الله به ديناً لعباده، فمن ارتد أو انحرف بعد ذلك فعليه وزره فما على الرسول إلا البلاغ، وقد بلغ ﷺ وأوفى وصدق وأجزى.

اتسعت المساحة عقب رحيله بعد مخاض كبير تزاحم فيه الناس على الموقع الذي أرادوا أن يقودوا الناس من نقطته، مع جهل بعواقب ستأتي لتزلزل كثيراً من أقدام لم تزل ضعيفة في ثباتها على أرضية هذا الدين الفتي! كان من نتاج ذلك أن يؤول الأمر فيما بعد لأبناء من رأى في دين الله ملكاً عظيماً محسوداً عليه (لكنها النبوة لا الملك يا أبا سفيان)[1].

توسعت رقعة الدين الجغرافية بعد أن جرف الطوفان الإسلامي كل من أمامه على أرض العقيدة، فاختلط الغث بالسمين، والدين عظيم الحجم، رائع المضمون، واسع المفهوم، قليل الفهم والتفهم (فالناس أكثرهم همج رعاع وقلة متعلمون على سبيل نجاة وندرة علماء ربانيون) فسلام على من صنف هذا فأنصف ذلك هو أمير المؤمنين عقيد الإيمان ولي الرحمن تعالى علي عليه السلام[٢].. هكذا كان واقع الدين والمتدينين به فهم بين من شملهم القول الإلهي (**لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**) (الحجرات:١٤) وبَيّن من هم (**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**) (الأحزاب:٢٣) هؤلاء سيثبت لنا الزمن لاحقاً هم الذين صمدوا وثبتت أقدامهم وانتظروا وما بدلوا تبديلاً حتى جاء وعد الله فكانت كلمتهم التي أعلنوها في الطف في العاشر من المحرم سنة ٦١ هج.

لم يكن هؤلاء ممن لم يمتحن قلبه في الإيمان ليكون فريسة سهلة للذئاب المتربصة من أجل الوثوب على مواقع ظنوها هم وآباؤهم الأولون أنها ملك.. لقد عاد الأب الأول (أبو سفيان) ليخاطب (حمزة عم الرسول) وهو يمر بقبره فيقول: (يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيوف قد صار إلى غلمان بني أمية)!![٣] نعم، وعلى هذا يقول الغلام الأموي (يزيد بن معاوية) متمثلاً قول ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لاستبانوا واستهلوا فرحاً
ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت (هاشم) بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل![٤]

هذا كان نتاج التزاحم، ليأخذ الناس مواقعهم، فمن فئة يكون الأمراء! ومن أخرى يكون الوزراء! وليكن ما يكون فيما بعد.. فالأهم كما يبدو ليس (الأفضل) بل الموقع المفضل وللوزر الموزور سيبقى المؤزر يتحمل!

وصحيح قد برزت رموز عقائدية متبصرة غير مستبصرة لاحقاً بين طالب للحق مخطئاً له، وطالب للباطل مصيباً له، بمكر وخداع لكن النوعين على سواء قد سببوا للأمة وبنيها وللدين وأهله وللأجيال الضياع والهلكة والتخلف ليسد عليهم لاحقًا عدو عقائدي أزلي من نوع آخر، وسيبقى كذلك حتى حين!

والصحيح الواقع أن الناس قد تركت عبر العصور اللاحقة بين حاكم ظالم وبين محكوم مظلوم.. ذلك لسبب واضح هو أن العهد الذي أصابوه هو ليس عهد الله الذي يصيب ولا يصاب (**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**) (البقرة:١٢٤).

إن الحس العقائدي السليم يقودك إلى ما قاله سلمان المحمدي: أما والذي نفس سلمان بيده: لو وليتموها عليًّا لأكلتم من فوقكم، ومن تحت أقدامكم[٥] أي من خيرات السماوات وكنوز الأرضين.. ولكن..!!

بدأ الظلم مبكراً بعد رحيل الأمين صلى الله عليه وآله واستمر حتى اليوم ولكنه قد بلغ ذروته في مأساة الطف التي شهدت الفيصل التاريخي بين فريقين، فريق الحق العقائدي يقوده

سبط النبي المرسل صلى الله عليه وآله الذي خرج (طلباً للإصلاح في أمة جده) بعد أن فسد الأمر وصاح الناس الغوث، ثم غدروا، لكن وجب على الحسين عليه السلام الإجابة لأنها مسؤوليته التي لا يمكن لسواه التصدي لها بوجوده بعد قيام الحجة للتصدي وأخذ زمام الأمور.

جاء للإصلاح فأجابوه بالصدود.. كلمتهم عيونه الباكية من أجلهم.. فشهروا السيوف بوجهه.. طالبهم أن يعودوا إلى أنسابهم ليروا هل يحل لهم قتله إن كانوا عرباً كما يزعمون فأجابوه بأنهم الأعراب الذين لا يفقهون في الدين ومن معنى أنسابهم شيئاً!!

لم يأت أمراء الرذيلة (يزيد وابن زياد وابن سعد) إلا بدين الردة والتنكر ليقاتلوا به أمراء الفضيلة بدءًا من الحسين عليه السلام وانتهاء بصحبه الأجلاء (حبيب ومسلم بن عوسجة وزهير والمؤمن الواعي الحر الرياحي وأقرانهم)، ورثة الرسالة المحمدية أقران (سلمان وأبي ذر ومالك الأشتر وكميل بن زياد وعمار بن ياسر وميثم التمار وحذيفة بن اليمان وخزيمة ذو الشهادتين وجابر بن عبد الله الأنصاري... و... و... سواهم من الثلة النادرة.

فمن أراد الحق والعقيدة فالطف برجاله معياره الأدق.. ففيه أناس في غاية الوضوح دون أي كلل أو ملل ودون الحاجة إلى جدل، فالشمس طالعة لتريك الناس في رابعة النهار على ماهيتهم.. فأهل الحق معروفون وأهل الباطل واضحون.. وطريق الصراط واضح وهو المستقيم الذي لا يقبل الانحراف.

ذهب الناس مذاهبهم لكن الأسى يبقى ليقول عبر التاريخ نحن الأمة التي قتلت ابن بنت نبيها فأضاعت نفسها بيدها وأضاعت الأجيال من بعدها.

فسلام عليك سيدي أبا الشهداء، وسلام على تلك الكوكبة من أصحابك، وهدانا الله لمودتكم ففيها معرفة السبيل المشرق بنوره فهو منهاج ورثتموه عن جدكم المصطفى صلى الله عليه وآله.

وسيبقى الطف بواقعته معيارنا الأبدي حين نعشق طريق العقيدة الحقة.. طريق التحرر والخلاص فهو صك الأمان لأنه صورة لصحيفة الإيمان.. ■

---

(١) قال أبو سفيان مخاطبًا العباس عم النبي صلى الله عليه وآله: لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا، فأجابه العباس: ويحك يا أبا سفيان إنّه ليس بملك إنّما هي النبوّة. (سيرة ابن هشام/ج٤ ص٤٩ ٨).

(٢) صنف أمير المؤمنين عليه السلام الناس بقوله: (الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم..) (نهج البلاغة ج٤ ص٣٥).

(٣) أبناء الرسول في كربلاء/ خالد محمد خالد ص٢٩.

(٤) تاريخ الطبري/ج٨ ص١٨٨.

(٥) الاحتجاج /الطبرسي ج١ ص١٥١.

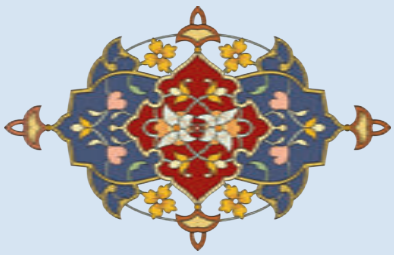

وقفة تأمل مع كتاب..

(الأحنف بن قيس أعظم المعاقين في الإسلام)

للدكتور صلاح الفرطوسي

حيدر المالكي •

ينابيع صدر للدكتور صلاح مهدي الفرطوسي عضو مجمع اللغة العربية في دمشق مؤخراً كتاب بعنوان (الأحنف بن قيس أعظم المعاقين في الإسلام).

يقع الكتاب في ١٢٢ صفحة من القطع الوزيري. وقد قدم المؤلف للكتاب قائلاً: (الصفحات التي بين يديك هي في الأصل محاضرة ألقيتها في معهد المعاقين بمدينة سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك سنة ١٩٩٨، تناولت فيها سيرة الأحنف بن قيس أعظم المعاقين في الإسلام، وقد نالت استحساناً دفعني إلى الغوص في تفاصيلها... ثم يضيف ولقد رأيت في سيرة الأحنف عبرة جديرة بالتأمل والاقتداء، إذ لم يكن شخصية عابرة في تاريخ الأمة السياسي والعسكري والفكري والاجتماعي، وإنما كان واحداً من أبرز قادة الفتح الإسلامي الذين لمع نجمهم بعد وفاة الرسول في المشرق.

وعلى الرغم من مجمع العاهات الذي أحاط به منذ ولادته قبل الهجرة النبوية المباركة بما يقرب من عقدين، وحتى وفاته أواخر العقد السابع من القرن الأول الهجري، أو أوائل العقد الثامن منه، فقد وهبه الله سؤدداً، ومجداً، وحلماً...)، إلى أن يقول: كان الأحنف خير ممثل للعقيدة التي آمن بها قولاً وفعلاً، إذ اعتنقها وسار

على هديها وتمسك بقيمها ...).

بهذه المقدمة استهل الباحث الموضوع ثم رتب أقسام الكتاب على شكل مجموعة مقالات ذات عناوين متعددة جعلت من سيرة الأحنف القاسم المشترك لنطاق بحثها. والمطلع على هذا الكتاب قد يلاحظ فيه بعض النقاط التي يمكن أن يقف عندها ليسجل ما سنعرضه مع تقديرنا واحترامنا لجهود الدكتور صلاح الفرطوسي في الكتابة عن شخصية من الشخصيات الإسلامية التي أثرت فعلاً في مجريات التاريخ الإسلامي، وأن توجب عليه التحقق أكثر من الروايات، لأن المدة التي فصلت بين إعداد هذا البحث وطباعته في العتبة العلوية بلغت حوالي عشر سنوات.

١ـ عند التعرض لكتابة السيرة الشخصية لابد من منهجية معينة يتبعها الباحث، إلا أننا لم نر مثل هذه المنهجية في الكتاب، فقد بدأ أول بحث بعنوان (الصقر في ذمة الخلود) حيث أراد المؤلف أن ينقلنا مباشرة إلى مشاهد من مراسيم دفن

الأحنف في ثوية الكوفة، ومنها ما قاله أحد الحاضرين في تلك المراسيم صفحة (١٩): (كنت والله لا تحسد غنياً ولا تحقّر فقيراً)، وبعد عدة صفحات وبالتحديد في صفحة(٢٦) نلاحظ قول الأحنف حينما صلّى على حارثة بن قدامة السعدي أحد سادة البصرة المشهورين (رحمك الله كنت لا تحسد غنياً ولا تحقر فقيراً) فهل أراد الذي وقف على قبر الأحنف أن يقول ما قاله الأحنف عندما صلّى على جنازة السعدي؟.

٢- وقف الدكتور الفرطوسي منذ الصفحات الأولى من كتابه موقف المدافع عن شخصية الأحنف، وكان عليه أن يقف موقفاً محايداً فيعرض النصوص التاريخية كما هي ثم يحاول استنطاق النص ليستخرج ما يدعم نظرته دون أن يعضد النصوص التي تمدح الأحنف ويضعّف الأخرى التي ترى فيه رأياً آخر.

٣- أورد الباحث في توطئته عبارة: (... ولما كان الأحنف من كبار صحابة الإمام وكان له دوره الواضح في أحداث خلافته وما تلاها...) ولا ندري علام اعتمد الدكتور الفرطوسي في جعل الأحنف من كبار صحابة الإمام علي؟ وهل يرقى الأحنف إلى مالك وكميل وميثم ومحمد بن أبي بكر وحجر بن عدي وأضراب هؤلاء؟

٤- يذكر الباحث في صفحة (٧٢) نصاً يكشف عن كيفية اهتداء الأحنف لمعرفة خليفة المسلمين بعد مقتل عثمان فيقول: (فلقيت طلحة والزبير، فقلت من تأمراني به وترضيانه لي، فإني لا أرى هذا الرجل إلا مقتولاً، قالا: علياً، فقلت: أ تأمراني به وترضيانه لي؟ قالا: نعم، فانطلقت حتى قدمت مكة، فبينا نحن بها إذ أتانا قتل عثمان، وبها عائشة، فلقيتها وقلت من تأمريني أن أبايع؟ قالت: علياً، قلت تأمريني به ترضينه لي؟ قالت: نعم، فمررت على علي بالمدينة فبايعته، ثم رجعت إلى أهلي بالبصرة، ولا أرى الأمر إلا قد استقام)، والظاهر من كلام الأحنف أنه كان مؤمناً تماماً بما يأمره به كل من طلحة والزبير وعائشة وكأنه رضي بما رضيا به الرجلان والمرأة، ولو قالوا له غير عليعليه السلام لأتمر بذلك دون التفكير الجدي بمن هو أحق في هذا المنصب، وهذا أول دليل يفيدنا في الاستدلال على أن الأحنف كان يميل إلى السلطة الحاكمة ورأي الجماعة.

٥- ذكر الباحث ثلاث روايات حول موقف الأحنف من الإمامعليه السلام بعد معركة الجمل، أما الرواية الأولى فذكر فيها قول الإمام معاتباً الأحنف: تربصت (أي انتظرت) بنا خيراً أو شراً؟ فأجابه الأحنف بجواب يبين فيه أن في اعتزاله عن الخوض في المعركة كان في صالح الإمام ومن جملة قوله: (... وأنت إلي غداً أحوج منك أمس، فاعرف إحساني، واستصف مودتي لغد، ولا تقولن مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً)، هل يعقل أن يكون من كبار صحابة الإمام ويقول له بمثل هذا القول؟، وهل من المناسب أن يقول الأحنف لإمامه (ولا تقولن مثل هذا!؟).

لقد كان موقف الأحنف حينما اعتزل الحرب ولم ينتصر للإمام عليعليه السلام مدعاة لانتقاده من قبل أبناء عشيرته التميميين البصريين أنفسهم، فهذا يزيد بن مسعود النهشلي يحدث عشيرته لما جاءه كتاب الحسين يدعوه لنصرته قائلاً: (فقد كان صخر بن قيس (الأحنف) انخزل بكم (أي

ضعف) يوم الجمل فاغسلوها مع ابن بنت رسول الله ونصرته لا يقصر عنها أحد...)[1] فقد عد هذا البصري التميمي تخذيل الأحنف أقاربه وعدم نصرة الإمام علي عليه السلام ضرباً من العار.

على أننا لا ننكر دور الأحنف المشرف في واقعة صفين وحثه قومه ومن ساروا تحت إمرته على نصرة الإمام علي عليه السلام وموقفه من خدعة التحكيم، كذلك دفاعه عن الإمام الحسن عليه السلام في مجلس معاوية دون أي خوف من معاوية أو تزلف إليه.

كان الأحنف من الوجوه المعروفة في البصرة، لذلك جاءه كتاب من الحسين عليه السلام يطلب منه النصرة، وقد كان رده على هذا الكتاب رداً لا يتناسب مع ما كان الحسين عليه السلام يتوقعه منه فقد أوردت المصادر ردين مختلفين للأحنف على الكتاب سنعرضهما معاً:

الأول: أورده الباحث في صفحة (١٠٦) نقلاً عن عيون ابن قتيبة: (كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الأحنف يدعوه إلى نفسه فلم يرد الجواب، وقال قد جربنا آل أبي الحسن، فلم نجد عندهم إيالة للملك، ولا جمعاً للمال، ولا مكيدة في الحرب)[2].

الثاني: كتب الحسين عليه السلام كتباً إلى وجوه أهل البصرة ومنهم الأحنف بن قيس ونص الكتاب(أدعوكم إلى الله وإلى نبيه فإن السنة قد أميتت، فإن تجيبوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد) وكان لكل وجه من الوجوه رد، فكان رد الأحنف فقد كتب إليه: (أما بعد فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)[3].

لقد تعرض الدكتور الفرطوسي للرد الأول فقط ، وقد نقل الجاحظ في كتابه العثمانية نفس قول الأحنف ولكن حينما جاءت إليه الناس تخبره بقدوم عبيد الله بن علي بن أبي طالب البصرة ونزوله عند أخواله التميميين[4].

وكان عقب الدكتور على الرد الأول في صفحة (١٠٦) بقوله: (إلا أنه رأى من وجهة نظره أن الأحوال قد تغيرت، وذهب زمن الرسالة، ولا بد للحكم من سياسة دنيوية تعتمد على القوة والحيلة والدهاء والمال والسياسة، وهي صفات ليست في بيت النبوة عليهم السلام، ولعله قالها بأسف وحرقة...)،

وقفة تأمل مع كتاب (الأحنف بن قيس)

أي يريد الباحث أن يخلص إلى نتيجة مفادها أن الأحنف كان يرى أن سياسة أهل البيت عليهم السلام عند تصديهم للحكم غير ناجحة فلابد للحاكم أن يمتلك أداة المكر والحيلة حتى يستقيم له الأمر، وهذا ما نعجب منه فكيف بالأحنف الذي عده الباحث من كبار صحابة الإمام علي عليه السلام أن يرى هذا الرأي؟. ومهما كان الأمر، فقد خاف الأحنف على نفسه من القتل ورأى في مبايعة يزيد وموادعته ما يحفظ حياته فلم يلتحق بالركب الحسيني لينال السعادة الأبدية، لكن الدكتور يبرر عدم نصرة الأحنف بقوله في صفحة (١١٤): (إنه كان من الموالين لبيت النبوة، وإن سبب عدم مشاركته في نصرة الحسين عليه السلام يعود إلى ظروف القهر العارمة التي أحاطت بثورته وأدت إلى عدم مشاركة آلاف مؤلفة من الموالين له عليه السلام، وعدم مشاركتهم لا ينزع عنهم ثواب الموالاة...)

أما الرد الثاني الذي لم يذكره الدكتور الفرطوسي، فنرى الأحنف يبرز بدور الناصح للحسين عليه السلام بترك النهوض بوجه الأمويين، والتزام الصبر وعدم الانجرار وراء أصحاب الوعود المزيفة، وكان الأجدر بالأحنف أن ينصر سيده وإمامه ولا يتقاعس عنه فدعوة الإمام الحسين عليه السلام إليه بالنصرة كانت لإلقاء الحجة عليه، لكنه آثر السلامة على الشهادة.

لقد قضى الأحنف الفترة التي امتدت من استشهاد الحسين سنة ٦١هـ إلى سنة ٦٩هـ أو ٧١هـ، أي لمدة عقد تقريباً ولم يهنأ بيوم واحد، فقد كثرت الفتن والمواجهات الدامية بين الأزديين والتميميين، كما تمكن أنصار ابن الزبير من البصرة فهرب عبيد الله بن زياد مما سهل الأمر على مصعب بن الزبير أن يدخل البصرة ويتولى أمرها، ثم دارت وقائع المواجهة بين مصعب و المختار كلها وجعلت الأحنف ـ باعتباره كبير قومه ـ في جو مشحون من الهموم والأفكار التي باتت تؤرقه وترهقه ليلاً ونهاراً حتى آل أمره إلى ترك البصرة ونزول الكوفة بمعية مصعب بن الزبير، حتى لفظ فيها أنفاسه الأخيرة، وهذا يجعلنا نسأل: (ماذا أضاف هذا العقد من الزمن الذي عاشه الأحنف في هم وخوف وقلق إلى حياته؟)، فلو استجاب لطلب سيد الشهداء واستشهد في كربلاء لنال القدح المعلى والخلود الدائم.

من هذا كله نستنتج أن الأحنف وبالرغم من محبته (لا موالاته) لعلي وآله عليهم السلام ودفاعه عنهم أحياناً، إلا أنه كان مسايراً للسلطة ويرى وجوب طاعة الحاكم وإن كان ظالماً ■

(١) الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ٢٢٢/٣.
(٢) ٢١١/١.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٤٠/٤٤.
(٤) الجاحظ، العثمانية، ص٩٦.

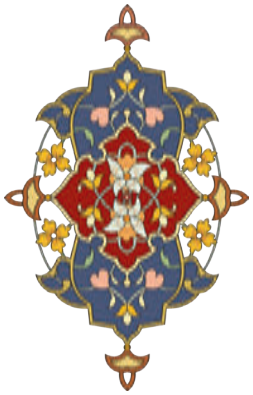

نوادر..

* علوت بقدر علمي

سئل أحد العلماء وهو على المنبر عن مسألة فقال: الله أعلم، لا أدري.

فقيل له: هذا المنبر لا يرقاه الجهلاء.

فقال: إنما علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء.

* أتدري لِمَ وُليت؟

استعمل المنصور العباسي رجلاً على خراسان، فأتته امرأة في حاجة فلم تَرَ عنده ما يفيدها ولا قضى حاجتها، فقالت له قبل أن تنصرف: أتدري لِمَ ولّاكَ الخليفة؟

قال: لا.

قالت: لينظر، هل يستقيم أمر خراسان بلا والٍ أم لا؟

* أيامي أربعة

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: أيامي أربعة..

يوم أخرج فألقى فيه من هو أعلم مني، فأتعلم منه، فذلك يوم غنيمتي.

ويوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه، فأعلمه، فذلك يوم أجري.

ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلي، فأذاكره، فذلك يوم درسي.

ويوم أخرج فألقى فيه من هو دوني وهو يرى أنه فوقي، فلا أكلمه وأجعله يوم راحتي.

(المصدر :جامع بيان العلم / ابن عبد البر)

أجوبة مسابقة العدد(٤٨)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب. اثنان

السـؤال الثاني: ج. الهفهاف بن المهند الراسبي

السـؤال الثالث: أ. بلنجر

السـؤال الرابع: أ. الطويل

السؤال الخامس: أ. عبد الله بن بشر الأسدي

السؤال السادس: ب. ثغر الري

السـؤال السابع: أ. مبعوث عمر بن سعد

السـؤال الثامن: ب. أم إسحاق بنت طلحة

السـؤال التاسع: أ. عقبة بن عمر السهمي

الفائز بالجائزة الأولى: بشير بچاي جويد/ الديوانية ـ الصدر٢.

الفائز بالجائزة الثانية: باسم عبد الرزاق حمود/ النجف الأشرف ـ الكوفة.

الفائز بالجائزة الثالثة: عادل جبار أسود/ الحلة ـ الماشطة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٥٠)

١ قالت: «ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ»، حديث ترويه عائشة بنت طلحة عن واحدة من خالاتها، فأي خالة منهن؟

أ. عائشة بنت أبي بكر. ب. أسماء بنت أبي بكر.

ج. أم كلثوم بنت أبي بكر.

٢ **لنا من هاشم هضبات عز مطنّبة بأبراج السماء**
تطوف بنا الملائك كل يوم ونكفل في حجور الأنبياء

أبيات لشاعر علوي، عُرف بالتفاخر بنسبه الشريف وبانتسابه للنبي وللوصي، فمن هو؟

أ. الأفوه الحماني. ب. الشريف الرضي.

ج. ابن طباطبا الحسني.

٣ «والله ما أرزاكم من مالكم شيئاً، وإن هذه لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة وما عندي غيرها» من حديث لأمير المؤمنين عليه السلام مع رجل لامَهُ لما رآه يرتجف من البرد، فأين جرى هذا الحديث؟

أ. في النخيلة. ب. في الخورنق.

ج. في رحبة الكوفة.

٤ لما أحكم القوم أمرهم على سلب الخلافة من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كانت أسماء بنت عميس حاضرة فبعثت إلى الإمام عليه السلام تخبره، وكان إخبارها بذكر آية معينة، فما هي تلك الآية؟

أ. (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك).

ب. (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم).

ج. (إنهم يكيدون كيدًا).

كوبون المسابقة

ينابيع ٥٠

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شعبان/ ١٤٣٤هـ.

جواب السؤال السابع

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال السادس

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال التاسع

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الخامس

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثامن

أ	
ب	
ج	

٥ أوقاف فاطمة الزهراء عليها السلام عبارة عن بساتين سبع، أوصى بها محيزم اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله فأوقفها على ابنته عليها السلام وأشهد على ذلك، فكم كان عدد الشهود؟

أ. اثنين. ب. ثلاثة. ج. أربعة.

٦ من أبناء الإمام الكاظم عليه السلام، أول من حجّ بالناس من الطالبيين أيام المأمون، مات ببغداد مسموماً أوائل سنة ٢١٠هـ، فما اسمه؟

أ. جعفر. ب. إسحاق. ج. إبراهيم.

٧ سعد بن عبادة، من سادات بني ساعدة كان شريفاً في الجاهلية وفي الإسلام، مجيداً لبعض المهارات، منها العوم في الماء والرمي، وعلى إثر ذلك لُقّب بلقب معروف، فما هو ذلك اللقب؟

أ. الكبير. ب. الخبير. ج. الكامل.

٨ كان ملازماً لأمير المؤمنين علي عليه السلام في حله وترحاله، فأطلق عليه الناس اسم (القرّاد)، عدّه الرجاليون من الثقات، مات سنة ٨٦هـ، فمن هو؟

أ. سعيد بن وهب الهمداني.
ب. الحارث بن زياد الهمداني.
ج. سعيد بن قيس الهمداني.

٩ فاطمة بنت أسد، أم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظمها ويقول إنها أمي، وكانت تحنو عليه وتقدمه على أولادها، أسلمت مبكراً، فكم شخصاً أسلم قبلها؟

أ. تسعة. ب. عشرة. ج. أحد عشر.

مجلة ينابيع

الآخوند الخراساني في مجلس درسه، ويبدو من تلامذته بالترتيب: ١- الميرزا أحمد الكفائي نجل الآخوند، ٢- السيد محمد صادق خاتون آبادي، ٣- السيد حسين البروجردي، ٤- الشيخ آغا بزرك الطهراني، ٥- الشيخ محمد حسين الكمباني الأصفهاني